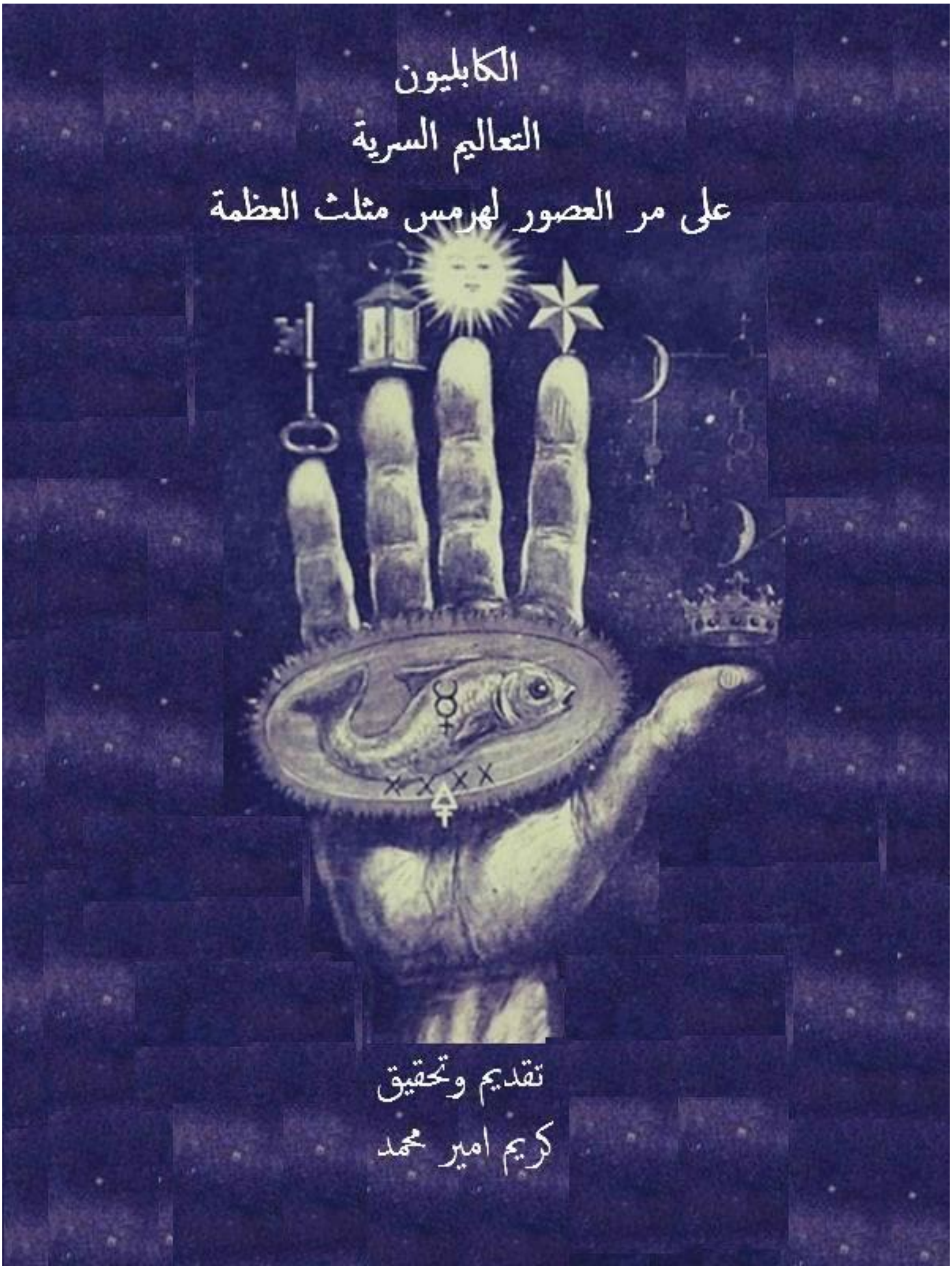

الكابليون
التعاليم السرية
على مر العصور لهرمس مثلث العظمة
تقديم وتحقيق
كريم امير محمد

الكيباليون

دراسة في فلسفة هرمس في مصر القديمة واليونان

تحقيق وتقديم وشرح

كريم امير محمد

مقدمة

ننعم بسعادة بالغة إثر تقديمنا هذا العمل المتواضع للطلاب والباحثين في المذاهب السرية على أساس تعاليم هرمس في العالم القديم. ولقد كتب بقدر ضئيل جدا في هذا الموضوع، مع مراعاة المراجع التي لا يمكن حصرها لهذه التعاليم في العديد من أعمال التنجيم، حيث أن الباحثين الجادين عن الحقائق السرية سيرحبون بلا شك بظهور الحجم الحالي.

إن الغرض من هذا العمل ليس تبني فلسفة خاصة أو مذهبا بعينه، وإنما منح الطلاب عرضا للحقيقة والتي من شأنها أن تعمل على ترجيح العديد من المعرفة الغامضة التي ربما قد اكتسبها، لكنها تتعارض مع بعضها البعض مما يثير غالبا التثبيط والغثيان عند المبتدئين في الدراسة. فليس مقصدي هو إقامة تمثالاً جديدا من المعرفة، وإنما المقصود هو أن نضع مفتاحا عموميا في يد الطالب يتمكن من خلاله من فتح العديد من الأبواب في تمثال السرية من خلال الأبواب الرئيسية التي دخلها بالفعل.

ليمتلك العالم جزءا من التعليمات السرية والتي تم الاحتفاظ بها كأجزاء من تعاليم هرمس والتي أتت إلينا على مدى عشرات القرون والتي انتهت منذ حياة مؤسسها الأعظم، هرمس الهرامسة، "كاتب الآلهة"، والذي أقام في مصر القديمة أيام الجنس الحالي في مراحله الأولى. لقد كان هرمس، بافتراض صحة الأسطورة، معلما لهذا الحكيم الجليل، وهو الشمس المركزية الكبرى للسرية والخفاء، ولقد أنارت أشعته عددا لا يحصى من التعاليم التي نُشرت في حياته. ويمكن

إرجاع كل التعاليم الجوهرية والأساسية التي أُدخلت في التعاليم السرية عند كل جنس إلى هرمس بما فيها التعاليم الهندية القديمة والتي تعود جذورها بلا أدنى ريبة إلى تعاليم هرمس.

اتجه كثير من علماء السر القادمين من بلاد نهر جانج إلى الأراضي المصرية، وقعدوا تحت أقدام الحكيم ثم حصلوا منه على المفتاح العمومي الذي فسر ورجح أراءهم المختلفة، ومن ثم ترسخت عندهم المذاهب السرية.

جاء المتعلمون من البلاد الأخرى وكلهم كانوا يعتبرون هرمس حكيم الحكماء، لما لديه من تأثير قوي جدا بالرغم من كون العديد من المقبلين قد جاءوا بتزكية من المعلمين في هذه البلاد المختلفة، ولكن ما زال هناك تطابقا وتشابها أساسيا لا شك فيه يحدد العديد من النظريات المختلفة استقبلها وعلمها علماء السر في هذه البلاد المختلفة في وقتنا الحالي. وسيتمكن طلاب مقارنة الأديان من ملاحظة تأثير تعاليم هرمس التي باتت وبدت في جميع الأديان التي يعرفها الجميع الآن، سواء كان هذا الدين قد اندثر أو في كامل انتشاره في وقتنا الحالي. وهناك دائما تشابها معينا بالرغم من وجود ملامح متناقضة، فتقوم تعاليم هرمس بدور المرجح الأعظم.

تتلخص حياة هرمس في زرع بذرة الحقيقة الكبرى والتي نمت وترعرعت في كثير من الأشكال الغريبة، بدلا من أن يُنشأ مدرسة فلسفية تحتكر تفكير العالم. ولكن على الرغم من ذلك فقد قام عدد قليل من الرجال بحفظ الحقائق الأصلية التي علمها هرمس والتي كانت معطلة في صفائها الأصلي، إلا أنهم منعوا تلك الحقائق عن عدد كبير يبلغ نصف الطلاب والأتباع الذين اتبعوا عادات هرمس، واحتفظوا بها لقليل من الطلاب الذين لديهم تأهب تام لإدراك هذه الحقاق والبراعة فيها. وانتقلت الحقائق من الفم إلى الأذنين بين هؤلاء القلة. وقد كان هناك دائما عدد من المتطلعين في كل جيل، في مختلف أنحاء الأرض، يحتفظون بشعلة تعاليم هرمس المقدسة والمتوهجة، يعيدون إنارة مصابيح العالم الخارجي من خلال مصابيحهم عندما يصبح ضوء الحقيقة خافتا ومغيبا بفعل الإهمال وعندما تصبح الفتيلة معطلة بفعل الأحداث الخارجية. وقد كان هناك الكثيرون يتجهون بإخلاص نحو الحقيقة، والتي على أساسها ظل مصباح الحكمة متوهجا للأبد. وقد كرس هؤلاء الرجال حياتهم للعمل على المحبة التي صورها الشاعر بصورة جيدة في أبياته قائلا:

لا تترك الشعاع يخفت

في شكله المقدس بقي　　　　في كهفه المظلم قرونا

غزاه كاهن الحب النقي　　　　فلا تترك الشعاع يخفت

لم يفكر هؤلاء الرجال في إرضاء العامة. ولا في إرضاء عدد من الأتباع. لم تكن تلك الأمور غايتهم، لأنهم قد عرفوا أنهم قليلون في كل جيل أولئك الذين هم متأهبون للحقيقة، أو الذين سيقرون بها إذا عرضت عليهم. فهم يدخرون" معدن الرجال الأصيل"، بينما يدخر الآخرون اللبن للرضع". وهم يدخرون لآلئ حكمتهم للصفوة، الذين يعرفون قيمتها ويلبسونها فوق رؤوسهم تيجانا، بدلا من أن يلقوها أمام أصحاب المصالح الدنيوية الدنيئة، الذين يطئونها في الوحل ويخلطونها بغذائهم العقلي المثير للغثيان. ولم ينسى هؤلاء الرجال أبدا أو تغافلوا عن التعاليم الأصلية لهرمس، فيما يتعلق بنقل كلمات الحقيقة لأولئك المتأهبين لحفظها، وقد نص الكابيلون على هذه التعاليم كما يلي:" أينما تقع أقدام الحكيم، تكون أذان المتأهبين مفتوحة". ومرة أخرى:" عندما تكون أذان الطلاب متأهبة للسماع، سيملأها الفم حكمة". ولكن كان موقفهم العادي دائما متوافقا مع حِكم هرمس الأخرى، كذلك في الكابيلون: " أفواه الحكمة مغلقة، إلا لآذان الفطناء".

كان هناك من انتقد موقف أتباع هرمس، وادعى أنهم لم يبينوا الروح المناسبة في سياستهم حول العزلة والصمت. ولكن عند النظر ثانية في ثنايا صفحات التاريخ ستظهر حكمة الحكماء، الذين علموا حمق المحاولة لتعليم الناس ذلك وهم غير متأهبين ولا راغبين في التلقي. ولم يعتقد أتباع هرمس يوما ما أنهم شهداء، بل ظلوا صامتين إلى جانب ابتسامة الشفقة التي تعلوا شفاههم، بينما " يثور الهمجي بغضب حنقا عليهم" في تسليتهم المعتادة ليس فقط بقتل وتشريد الأمناء بل بتضليل المتحمسين الذين أجبروا على الدخول في جنس الهمجيين وتصور أن الحقيقة لا يدركها إلا الصفوة الذين تقدموا مع تقدم الطريق.

ولم تتوقف روح الاضطهاد في الأرض حتى الآن. هناك بعض تعاليم هرمس التي لو أذيعت للعامة، ستجلب على الحكماء ويلات من الازدراء والسب من العامة الذين سيرفعون ثانية نداء "الصلب! الصلب".

وقد سعينا في هذا العمل المتواضع أن نعطيكم فكرة عن التعاليم الأساسية للكابيلون، جاهدين أن نعطيكم المبادئ العملية، تاركين لكم تطبيقها، بدلا من محاولة رسمها بالتفصيل. فإذا كنت طالبا حقا، ستكون قادرا على تطبيق هذه المبادئ، وإذا لم تكن، يجب عليك أن تطور من نفسك، وإلا ستكون تعاليم هرمس بالنسبة لك " كلمات، كلمات، كلمات".

كريم امير محمد

الفصل الأول

فلسفة هرمس

"إن أفواه الحكمة مغلقة إلا لآذان الفطناء"– الكابيلون.

لقد جاءت تعاليم السر والخفاء الأساسية والتي أثرت بقوة في فلسفات جميع الأجناس والأمم والشعوب لآلاف السنوات. فمصر، بلد الأهرامات وأبي الهول، كانت مهداً للحكمة الخفية والتعاليم السرية. ومن هنا استمدت جميع الأمم المذاهب السرية: الهندية و الفارسية والكلدانية والمدية واليابانية والأشورية واليونانية القديمة والرومانية، وحضارات أخرى قديمة شاركت بِحُريةٍ في عرس المعرفة التي قدمها كهان وملوك أرض إيزيس دون مقابل للذين جاءوا متأهبين للمشاركة في خزانة معرفة السر والخفاء العظيمة التي جمعها القائمين على الحكم في هذه الأرض القديمة مع بعضها البعض.

عاش المفكرون والحكماء، الذين لم يتفوق عليه أحد ولم يعدلهم أحد، في مصر القديمة، أثناء القرون التي شهدت رحلتهم العملية منذ أيام هرمس العظيم. وفي مصر كان يقع أعظم محفل لمحافل علماء السر. وعلى أبواب تماثيلها يدخل المبتدئين الذي سافروا بعد ذلك، ككهان ومفكرين ومعلمين، إلى زوايا الأرض الأربعة، يحملون معهم المعرفة النفيسة التي كانوا متأهبين ومتلهفين وراغبين في تقديمها لأولئك المتأهبين لتلقي نفس المعرفة. وقد أقر جميع طلاب المعرفة الخفية بأنهم مدينون لهؤلاء الحكماء من تلك الأرض القديمة.

ولكن كان من بين هؤلاء الحكماء العظام في مصر القديمة الذين عاشوا فيها حكيم كان يناديه الحكماء بـــ" حكيم الحكماء". عاش هذا الرجل" إن كان رجلا بالفعل" في مصر في الأيام الأولى ولقد كان يعرف بهرمس الهرامسة. أبو الحكمة الخفية؛ مؤسس علم الخيمياء والكثير من العلوم والتي ضاعت قصة تفاصيل حياته في كتب التاريخ، بتعاقب السنوات، مع أن العديد من البلاد القديمة قد اختلفوا مع بعضهم البعض في ادعاءاتهم بتشرفهم بامتلاك محل ولادته. ولم يعد تاريخ إقامته في مصر معلوما الآن، ولكن الثابت أنه كان في الأيام الأولى من حكم أقدم الأسر المصرية، قبل أيام موسى. أفضل الروايات حوله في الحاضر رواية إبراهيم، وابتعدت بعض الآثار اليهودية في هذا الأمر حيث ادعت أن إبراهيم (النبي) قد حصل على جزء من معرفته الخفية من هرمس نفسه.

توالت السنوات بعد انتهاء رحلة حياته (تروى الآثار أنه قد عاش ثلاثمائة في الجسد)، إله المصريين هرمس، وجعلوه واحدا من آلهتهم تحت اسم تحوت. وبعد سنوات، جعله اليونانيون القدماء واحدا من آلهتهم الكثيرة وسموه " هرمس إله الحكمة". ولقد خلد المصريون ذكراه لعدة قرون – نعم، عشرة قرون، وقد سموه" بكاتب الآلهة"، وكانوا يقدمون له القرابين، تمييزا للقبه القديم" طريسميجيسطيس" والذي يعني "المثلث العظمة"؛ "العظيم الأعظم"؛ إلخ. وكان اسم هرمس طريسميجيسطيس مبجلا في جميع الأراضي القديمة، وقد كان الاسم مرادفا لـ" مصدر الحكمة".

وحتى في هذه الأيام نستخدم مصطلح " هرمسي" للدلالة على " السرية"؛ " مغلق، لن يتمكن أحد من الفرار"؛ إلخ. وحقيقة ذلك أن أتباع هرمس قد حفظوا مبادئ السرية في تعاليمهم. فلم يؤمنوا بـ " إلقاء اللآلئ أمام الدنيء"، بل أخذوا بالتعاليم التي تقول " اللبن للرضع"؛ " اللحم للرجال الأقوياء"، كلتا هاتين القاعدتين معروفتان لدى قراء الكتب المقدسة عند النصارى، لكن كلتيهما استخدمه المصريون القدماء لقرون قبل الحقبة النصرانية.

وقد ميزت سياسة النشر الحذر لحقيقة هذه الهرمسيين، حتى إلى وقتنا الحاضر. ولا يوجد أرض ليس فيها شيء من تعاليم هرمس، وبين جميع الأديان، بل لم تكن خاصة ببلد بعينه، ولا طائفة دينية بعينها. والسبب في ذلك هو تحذير المعلمين القدماء من السماح ببلورة المذاهب السرية في عقيدة. ولقد كانت الحكمة من هذا التحذير واضحة لجميع طلاب التاريخ. فقد تدهورت السرية

الهندية والفارسية القديمة وفقدت معظمها، بسبب تحول المعلمين إلى قساوسة، وبذلك اختلطت الإلهيات بالفلسفة، وكانت النتيجة أن السرية الهندية والفارسية قد فقدت بشكل تدريجي وسط كم من الخرافات الدينية والأديان والعقائد والآلهة. لذا فقد كانت مع اليونان القديمة وروما. إضافة إلى كونها في تعاليم هرمس والغنوصية والنصرانية الأولى أيام قسطنطين، ولقد أخمدت يده الحديدية بغطاء الإلهية، خاسرا ذلك أمام الكنيسة النصرانية التي كان جوهرها وروحها، وتسبب ذلك في تخبطها لعدة قرون قبل أن تجد طريق العودة إلى عقيدتها القديمة، وظهرت العلامات بشكل واضح لجميع الحفاظ المتيقظين في القرن العشرين أن الكنيسة تحاول جاهدة أن تعود ثانية إلى تعاليمها السرية القديمة.

ولكن كان هناك قليل من النفوس المخلصة التي حافظت على الشعاع مسرجا، يرعونها بحذر، ولا يسمحون بأن ينطفأ نورها. ونشكر هذه القلوب الوفية وهذه العقول الجسورة فقد ظلت الحقيقة معنا دون العثور عليها في الكتب. ولكنها انتقلت من المعلم إلى الطالب؛ من الملقن إلى المفسر؛ من الفم إلى الأذن. وعندما كانت تدون كلها، كانت أشبه بمصطلحات الكيمياء والتنجيم فما كان لأحد أن يقرأها بطريقة صحيحة سوى من كان لديهم المفتاح فقط. ولقد كان ذلك ضروريا لتجنب اضطهاد الإلهيين في العصور الوسطى الذين حاربوا المذاهب السرية بالنار والسيف والخازوق والشنق والصلب. وحتى إلى وقتنا هذا سيوجد القليل من الكتب الموثقة عن فلسفة هرمس، على الرغم من وجود مراجع لها لا تعد ولا تحصى في العديد من الكتب دونت حول أطوار السرية. وعلى أية حال، فإن فلسفة هرمس هي المفتاح العمومي الوحيد الذي سيفتح كل أبواب التعاليم السرية.

في العصور القديمة، كان هناك مصنف لمذاهب هرمس الأساسية نقلا من الحكيم إلى الطالب، والتي كانت تعرف ب" الكابيلون"، وقد فقدت الدلالة المضبوطة والمعنى الصحيح لهذا المصطلح لقرون عديدة. وتعد هذه التعاليم معلومة لدى الكثيرين الذين تلقوها من الفم إلى الأذن على مر القرون. ولم تكتب مبادئها أو تطبع على حد علمنا. لقد كانت مجموعة من القواعد والمسلمات والمبادئ غير المفهومة لدى الغرباء ولكن كان الطلاب يفهمونها بسهولة بعد أن وضح ملقني الهرمسية المسلمات والقواعد والمبادئ لطلابهم. وقد أنشأت هذه التعاليم القواعد الأساسية لـ" فن الكيمياء الهرمسية"، التي تتعارض مع الاعتقاد العام، قايضت غموض القوى العقلية بدلا من

المكونات المادية؛ تلك المكونات التي تقوم بتحويل نوع واحد من الاهتزازات الذهنية إلى غيرها، بدلا من تحويل نوع واحد من المعدن في الآخر. ولقد كانت أسطورة " حجر الفلاسفة" الذي يمكن أن يحول المعدن الخسيس إلى ذهب رمزا يتعلق بفلسفة هرمس والذي كان كل طلاب الهرمسية الحقيقيون يفهمونها بسهولة.

وفي هذا الكتاب الصغير، وهذا أول الدروس فيه، ندعوا طلابنا أن يفتشوا في تعاليم هرمس، كما هو واضح في الكابيلون، وكما شرحنا، أن الطلاب الأذلاء للتعاليم، والحاملون للقب الملقنين، لا يزالون طلاب تحت أقدام الحكيم هرمس. ونعطيكم في هذا الكتاب العديد من قواعد ومسلمات ومبادئ الكابيلون، مصحوبة بالشروحات والتوضيحات حرصا منا على أن يفهم الطلاب المعاصرون التعاليم بسهولة، لاسيما وأن النص الأصلي مخفي في مصطلحات غامضة.

وقد نشرت قواعد ومسلمات ومبادئ الكابليون في هذا الكتاب. وقد طبع عملنا بطريقة منتظمة في صميم العمل. ونحن على ثقة أن الطلاب –وهم كثيرون– الذين نقدم لهم الآن هذا الكتاب الصغير سيستخرجون الفوائد قدر المستطاع من خلال دراسة صفحاته مثل الكثيرين الذين بدئوا من قبل والذين سلكوا نفس الطريق إلى السرية على مر العصور المنصرمة منذ أيام هرمس طريسميجيسطيس، حكيم الحكماء وعظيم العظيم. بكلمات" الكابليون".

"أينما تقع أقدام المعلم، تكون أذان المتأهبين مفتوحة". الكابليون.

"عندما تكون أذان الطلاب متأهبة للسماع، سيملأها الفم حكمة". الكابليون.

لذا، طبقا للتعاليم، فإن فقرات هذا الكتاب لهؤلاء المتأهبين للتعاليم ستجذب انتباه أمثال هؤلاء المتأهبين لتلقي التعاليم. وكذلك عندما يكون التلميذ متأهبا لتلقى الحقيقة، فإن هذا الكتاب الصغير قد أعد من أجله، أو من أجلها. كما أن قاعدة هرمس في العلة والتأثير، في مظهرها في قانون الجذب، ستجلب الفم والأذن سويا والتلميذ والكتاب معا. وما لنا إلا أن نرجو أن تكون كذلك.

الفصل الثاني

مبادئ هرمس السبعة

"مبادئ الحقيقة سبعة؛

فالعارف بما فيها والفاهم لها والمالك للمفتاح السحري ستفتح كل الأبواب أمامه" الكابليون.

قامت فلسفة هرمس على سبعة مبادئ كما يلي:

١ . مبدأ العقلانية.

٢ . مبدأ التواصل.

٣ . مبدأ الاهتزاز (التذبذب).

٤ . مبدأ القطبية.

٥ . مبدأ التناغم.

٦ . مبدأ السبب والنتيجة.

٧. مبدأ الجنس.

سنتناوب كلا من تلك المبادئ على حده فيما يلي: وهذا شرح قصير لكل مبدأ من هذه المبادئ.

١ . مبدأ العقلانية:

" المطلق هو عقل ؛ والملكوت لا يكون إلا عقليا". الكابليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن المطلق هو العقل كما يوضح أن المطلق (وهو الحقيقة الجوهرية الكامنة في كل التجليات والهيئات، التي نعرفها تحت مفاهيم الكون المادي: ظواهر الحياة، المادة، والطاقة، وباختصار كل ذلك ظاهر لحواسنا المادية) هو الروح، والتي بذاتها مجهولة وغامضة، ومع ذلك يمكن اعتبارها أو الاعتقاد بأنها عقل كلي أو مطلق وفعال مضيفا إلى أنه يوضح أن كامل العالم الظاهري أو الكون هو ببساطة إبداع عقلي للمطلق، والخاضع

لقوانين المخلوقات المخلوقة، وأن الكون ككل وبأجزائه أو وحداته له وجوده في عقل المطلق، الذي بعقله نحيا ونتحرك ونحقق وجودنا. إن هذا المبدأ، من خلال إثبات الطبيعة العقلية للكون، يوضح بسهولة كل الظواهر العقلية والنفسية المتنوعة التي تحتل جزءً كبيراً من اهتمام الرأي العام، والتي لا يمكن فهمها وتحدي التحليل العلمي بدون مثل هذا التوضيح. إن فهم مبدأ العقلانية لهرمس العظيم يتيح للفرد أن يفهم بسهولة قوانين الكون العقلي وأن يطبقها من أجل سعادته وترقيته. إن تلميذ هرمس يستطيع بذكاء تطبيق القوانين العقلية النبيلة بدلاً من استخدامها بطريقة خطيرة، وبحوزته للمفتاح الرئيسي يتمكن التلميذ من فتح أبواب متعددة لمعبد المعرفة العقلية والنفسية ودخولها بحرية وبتعقل. يوضح هذا المبدأ الطبيعة الحقيقية للطاقة؛ القدرة والمادة كما يوضح سبب وكيفية خضوع كل هذه الأشياء لسيطرة العقل . كتب أحد مدرسي هرمس القدماء منذ وقت طويل " إن من يفهم حقيقة الطبيعة العقلية للكون فهو في مرحلة متقدمة نحو التفوق". وإن هذه الكلمات صحيحة في يومنا هذا قدر صحتها عندما كُتبت لأول مرة. بدون هذا المفتاح الرئيسي يكون التفوق مستحيل، والتلميذ يطرق دون جدوى على الأبواب المتعددة للمعبد.

٢ . مبدأ التواصل:

" كما في الأعلى كذلك في الأسفل، كما في الأسفل كذلك في الأعلى " الكابليون.

يجسد هذه المبدأ حقيقة دوام التواصل بين قوانين وظواهر المستويات المختلفة للوجود والحياة. تُلخص مسلمة هرمس القديمة بالعبارة التالية (كما في الأعلى كذلك في الأسفل، كما في الأسفل كذلك في الأعلى)، وفهم هذا المبدأ يعطي المرء وسائل إيجاد حلول لعدة تناقضات غامضة ولأسرار خفية للطبيعة. وهناك مستويات تفوق معرفتنا، لكن عندما نطبق مبدأ التواصل عليها فإننا نستطيع فهم ما هو مجهول بالنسبة لنا أكثر منه عند عدم تطبيقه. ويعد هذا المبدأ ذو تطبيق ووجود شاملين للكون المادي، العقلي، والروحي. فهو قانون كوني. والذي اعتبره الهرمسيون القدماء من أهم الأدوات العقلية التي تَمكّن المرء بواسطتها من تخطي العقبات التي تخفي المجهول عن الرؤية، حتى أنّ استخدامه أزال الحجاب عن إيزيس إلى درجة أنه أصبح بالإمكان رؤية لمحة من وجه الإله، كما تمكّن من معرفة مبادئ علم الهندسة من قياس الشموس

البعيدة وحركاتها بينما المرء جالس في مرصده، كذلك إن معرفة مبدأ التواصل تمكّن الإنسان من الانتقال من المعلوم إلى المجهول بذكاء. فبدراسة الخلية يفهم المرء الملاك الرئيسي.

٣ . مبدأ الاهتزاز:

" لا شيء ثابت؛ كل شيء يتحرك؛ كل شيء يهتز". الكابليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن كل شيء يتحرك وكل شيء يهتز وأنه لا يوجد شيء ثابت، وهي حقائق أكدها العلم الحديث، والتي يميل كل اكتشاف علمي جديد إلى التحقق منها. ومع ذلك أُعلن هذا المبدأ الهرمسي منذ آلاف السنين من قبل حكماء مصر القدماء. يوضح هذا المبدأ أن الفوارق بين التجليات المتعددة للمادة والطاقة والعقل وحتى الروح تنتج إلى حد كبير عن تفاوت معدلات الاهتزاز؛ بداية من المطلق، وهو روح نقية، وصولاً إلى أضخم شكل للمادة، في النهاية نصل إلى أن كلها متحركة، فكلما ارتفع معدل الاهتزاز، أصبح المركز أعلى من حيث المستوى. إن اهتزاز الروح يبلغ معدلاً غير محدوداً من القوة والسرعة إلى درجة أنها عملياً ثابتة، تماماً كما تبدو عجلة تتحرك بسرعة وكأنها ثابتة. وفي الطرف الآخر من المستوى يوجد أشكال إجمالية للمادة والتي ينخفض اهتزازها جداً إلى درجة أنها تبدو ثابتة. وبين هذان الطرفان يوجد ملايين وملايين من درجات الاهتزاز المتفاوتة، من الكرية والإلكترون، الذرة والجزيء إلى العوالم والأكوان، كل شيءٍ في حركة اهتزازية. كذلك ينطبق هذا على مستويات الطاقة والقوة (التي ما هي إلا درجات متفاوتة من الاهتزاز)، وكذلك على المستويات العقلية(التي تعتمد حالتها على الاهتزاز)، وحتى على المستويات الروحية. إن فهم هذا المبدأ، مع الصيغ المناسبة يمكن تلاميذ هرمس من التحكم في اهتزازتهم العقلية وكذلك الاهتزازات الأخرى. كما أن الحكماء يستخدموا هذا المبدأ لقهر الظواهر الطبيعية بطرق مختلفة. يقول أحد الكتّاب القدماء " إن من يفهم مبدأ الاهتزاز قد أمسك بصولجان الطاقة.

٤ . مبدأ الازدواجية:

"كل شيء مزدوج، كل شيء له أقطاب، كل شيء له زوج من الأطراف، التشابه وعدم التشابه هو الشيء نفسه، الأضداد متشابهة بطبيعتها لكن بدرجات متفاوتة، الطرفان يجتمعان، كل الحقائق ما هي إلا أنصاف حقائق، قد يمكن التوفيق بين كل المتناقضات" الكابليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن كل شيء هو مزدوج، كل شيء له قطبين، كل شيء له زوج من التناقض، وهي كلها كانت مسلمات هرمسية قديمة. إنها توضح التناقضات القديمة التي حيّرت الكثيرين، والتي ذُكرت على النحو التالي: الأُطروحة ونقيضها متماثلان بطبيعتهما، لكنهما متفاوتان بالدرجة، الأضداد متشابهة وتختلف بدرجتها فقط، قد يمكن التوفيق بين زوج من الأضداد. الطرفان يجتمعان، كل شيء هو وليس هو في الوقت نفسه، كل الحقائق ما هي إلا أنصاف حقائق، كل حقيقة هي نصف كاذبة، هناك جانبان لكل شيء.. إلخ، إلخ. هذا يفسر أن في كل شيء هناك طرفان أو مظهران متناقضان، وأن المتناقضان في الواقع هما طرفان للشيء نفسه مع العديد من الدرجات المتفاوتة بينهما. وللتوضيح: الحر والبرد على الرغم من أنهما متناقضان فهما في الواقع الشيء نفسه، تتألف الفوارق فقط من درجات من الشيء نفسه. انظر إلى مقياس الحرارة خاصتك وتحقق مما إذا كان بإمكانك معرفة أين ينتهي الحر ويبدأ البرد. لا يوجد أي شيء يعرف بالحر المطلق أو البرد المطلق، كلاهما ببساطة يشير إلى درجات متفاوتة من الشيء نفسه. ذلك الشيء نفسه الذي يظهر كبرد أو حر هو مجرد شكل أو اختلاف أو معدل من الاهتزاز. لذلك ببساطة إن الحر والبرد هما طرفان؛ فالذي نسميه الحر والظواهر المصاحبة له هي مظاهر من مبدأ الازدواجية. يتضح المبدأ نفسه في حالة النور والظلمة وهما الشيء نفسه: يتألف الفرق من درجات متفاوتة بين طرفي الظواهر، أين تنتهي الظلمة، ويبدأ النور؟ ما هو الفرق بين كبير وصغير، بين صلب ولين؟ بين أسود وأبيض؟ بين حاد ومحدب؟ بين الضجيج والهدوء؟ بين مرتفع ومنخفض؟ بين إيجابي وسلبي؟ يوضح مبدأ الازدواجية تلك التناقضات، ولا يمكن أن يحل أي مبدأ آخر محله. ينطبق المبدأ نفسه على المستوى العقلي. دعونا نأخذ مثالاً فطرياً ومتطرفاً وهو الحب والكراهية، حالتان عقليتان مختلفتان تماماً ظاهرياً، لكن مع ذلك هناك درجات من الحب ودرجات من الكراهية ودرجة وسطى والتي نعبر عنها بكلمتي " ود ونفور" واللذان يضللان بعضهما البعض إلى درجة أننا في بعض الأحيان نحتار لمعرفة ما إذا كنا نود أو ننفر أو لا هذا ولا ذاك. وكلها ببساطة

درجات من الشيء نفسه، كما سترى إن كنت ستفكر للحظة فقط. وأكثر من هذا (وهو يعتبر ذو أهمية أكبر من قبل الهرمسيون) إنه من الممكن تغيير ذبذبات الكراهية إلى ذبذبات محبة، في عقل الشخص وعقول الآخرين. العديد منكم، ممن سيقرأ هذه السطور، كان لديكم عدة تجارب شخصية عن الانتقال السريع اللاإرادي من المحبة إلى الكراهية، وبالعكس في حالتكم الخاصة وحالة الآخرين. ولذلك ستدركون إمكانية تحقيق هذا بالإرادة من خلال استخدام الصيغ الهرمسية. الخير والشر ما هما إلا طرفان للشيء نفسه، ويعرف الهرمسي استخدام طرق تحويل الشر إلى خير عن طريق تطبيق مبدأ الازدواجية. باختصار إن فن الاستقطاب يصبح حالة من الكيمياء العقلية يعرفها ويمارسها معلمي الهرمسية القدماء والمعاصرين. إن فهم هذا المبدأ يمكّن المرء من تغيير ازدواجيته بالإضافة إلى ازدواجية الآخرين، عما إذا كان سيكرس الوقت ويدرس الضروري لإجادة هذا الفن.

٥ . مبدأ التناغم:

"كل شيء يتدفق، للداخل والخارج، كل شيء له مد وجزر، كل شيء يرتفع ويسقط، يظهر تأرجح عقرب الساعة في كل مكان، مقدار التأرجح إلى اليمين هو مقدار التأرجح إلى اليسار، الإيقاع متكافئ" الكابليون.

يجسد هذا المبدأ أنه في كل شيء ظاهر هناك حركة منتظمة إلى الأمام والخلف، منبع ومصب، تأرجح للخلف والأمام، حركة شبيهة ببندول الساعة، مثل جز ومد الأمواج، هناك أمواج مرتفعة وأمواج منخفضة بين الطرفين اللذين يتواجدان وفقاً لمبدأ الازدواجية. يوجد دائماً فعل ورد فعل، تقدم وتراجع، ارتفاع وانخفاض. هذا متعلق بأمور الكون والعوالم والبشر والحيوانات والعقل والطاقة والمادة. هذا القانون جلي في خلق وإفناء العوالم، في نهوض وانهيار الأمم، في حياة كل الأشياء وأخيراً في الحالات العقلية للبشر (وفي هذا الأخير يجد الهرمسيون أن فهم المبدأ هو الأهم) لقد فهم الهرمسيون هذا المبدأ و أحكموا تطبيقه الشامل، وقد اكتشفوا أيضاً بعض الوسائل للتغلب على آثاره في أنفسهم باستخدام صيغ وأساليب مناسبة. فهم يطبقون قانون الحياد العقلي. لا يمكنهم إلغاء هذا المبدأ أو أن يتسببوا في إيقاف تطبيقه، لكنهم تعلموا كيفية الخلاص من تأثيراته على أنفسهم إلى درجة معينة معتمدين على إتقان المبدأ، لقد تعلموا كيفية استخدامه بدلاً

من أن يتم استخدامهم من قبله. بهذه الطريقة وبطرق مشابهة تتشكل طرائق الهرمسيون. الخبير بالمبادئ الهرمسية يغير نفسه عند المرحلة التي يرغب عندها بالراحة ثم يحايد التأرجح المتناغم للبندول الذي من شأنه أن ينقله إلى الطرف الآخر. كل الأشخاص الذين بلغوا أي درجة من السيطرة على النفس يفعلون هذا إلى حد ما، ودون إدراك تقريباً، لكن المتفوق يفعل ذلك بإدراك وباستخدام إرادته، وتحقيق درجة من التوازن والثبات العقلي الذي يكاد يكون مستحيل التصديق من جانب الجماهير الذين يتأرجحون للأمام والخلف مثل بندول الساعة. لقد تمت دراسة هذا المبدأ ومبدأ الازدواجية عن كثب من قبل الهرمسيين، كما أن طرائق مواجهتهما و محايدتهما واستخدامهما تشكل جزءاً هاماً من الكيمياء العقلية لدى الهرمسيين.

٦ . مبدأ السبب والنتيجة:

"كل سبب له نتيجته وكل نتيجة لها سببها، كل شيء يحدث وفقاً لقانون. الصدفة هي مجرد اسم يطلق على قانون غير معروف. هناك عدة مستويات من العلاقات السببية، لكن لا شيء ينجو من هذا القانون" الكايبليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن هناك سبب لكل نتيجة، ونتيجة من كل سبب. يوضح هذا المبدأ أن كل شيء يحدث وفقاً لقانون، وأن لا شيء يحدث أبداً ببساطة، وأنه لا يوجد شيء يسمى صدفة، وأنه في حين يوجد العديد من مستويات السبب والنتيجة فإن أكثر تلك المستويات سيطرة هو أضعفها، مع ذلك لا يوجد أي شيء على الإطلاق ينجو من هذا القانون. يعرف الهرمسيون فن وطرائق التسامي فوق المستوى العادي لمبدأ السبب والنتيجة إلى حد ما، وبالارتقاء عقلياً إلى مستوى أعلى فإنهم يصبحون المسببين بدلاً من النتائج. فينتقل الناس مذعنين للمحيط أن رغبات وإرادات الآخرين أقوى من أنفسهم تنقلهم الوراثة والإيحاءات وأسباب خارجية أخرى مثل البيادق على رقعة شطرنج الحياة. ولكن الخبراء يرتقون إلى مستوى أعلى منه يتمكنون على السيطرة على طباعهم وصفاتهم وخصالهم وقدراتهم بالإضافة إلى البيئة المحيطة بهم؛ ويصبحون هم الناقلين بدلاً من أن يكونوا بيادق، إنهم يساعدون على لعب لعبة الحياة بدلاً من أن يتم تحريكهم واللعب بهم بواسطة إرادات وبيئات أخرى. إنهم يستخدمون المبدأ بدلاً من أن يكونوا أدواته.

فيمتثل المتقن لسببية المستويات الأعلى، لكنها تساعده على السيطرة على مستوياته. وفي هذه العبارة كُثفت ثروة المعرفة الهرمسية، فليقرأ من يستطيع.

٧ . مبدأ الجنس:

" يوجد نوع في كل شيء، كل شيء له أصول مذكرة ومؤنثة، يظهر النوع على كل المستويات" الكابليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن النوع متجلي في كل شيء، كما أن كلا من المذكر والمؤنث لهما الفعالية دائماً، فهذا لا ينطبق على المستوى المادي فحسب، بل على المستويات العقلية وحتى الروحية. فعلى المستوى المادي: يظهر المبدأ على شكل الجنس. أما على المستويات الأسمى يأخذ المبدأ أشكال أسمى، لكن المبدأ يبقى نفسه دائماً. لا يوجد خلق، مادي، عقلي، أو روحي ممكن دون هذا المبدأ. إن فهم قوانينه سيسلط الضوء على عدة مواضيع حيّرت عقول البشر. يعمل مبدأ النوع دائماً في اتجاه التكاثر، والانبعاث الروحي والخلق. كل شيء وكل شخص يحتوي على العنصرين أو الأصلين، أو أن هذا المبدأ يوجد داخل الشيء سواء كان ذكر أو أنثى. كل ذكر يحتوى على العنصر الأنثوي، كل أنثى تحتوي على العنصر الذكوري. إذا كنت ترغب بفهم فلسفة الخلق الروحي والعقلي، التكاثر، الانبعاث الروحي فينبغي عليك أن تفهم وتتعلم هذا المبدأ الهرمسي. إنه يشمل حلول العديد من أسرار الحياة . نحذركم أن هذا المبدأ لا يحمل أي إشارة لممارسات أو تعاليم النظريات المتعددة الوضيعة الخبيثة، المهينة، والشهوانية، التي يتم تعليمها تحت أسماء وهمية، وهي بغاء مبدأ النوع الطبيعي الرفيع. هذا الإحياء الوضيع للأشكال الفاضحة القديمة من الوثنية يميل إلى تدمير العقل الروح والجسد. لقد أطلقت الفلسفة الهرمسية دائماً علامة تحذير ضد هذه التعليمات المهينة التي تميل نحو الشهوة والفجور وإفساد مبادئ الطبيعة؛ إذا كنت تسعى إلى مثل هذه التعليمات عليك الذهاب إلى مكان آخر. فالهرمسية لا تحتوي على شيئاً مشابه لذلك. بالنسبة للشخص الطاهر كل الأشياء طاهرة، أما بالنسبة للوضيع كل الأشياء وضيعة.

الفصل الثالث

التحويل العقلي

" العقل(مثل المعادن) يمكن أن يتحول من حالة إلى حالة، من درجة إلى دجة، من ظرف إلى ظرف، من قطب إلى قطب، من اهتزاز إلى اهتزاز. التحويل الهرمسي الصحيح هو فن عقلي". الكابليون.

كما ذكرنا من قبل، لقد كان الهرمسيون هم الكيميائيون والمنجمون والفلاسفة الأوائل، ولقد كان هرمس هو مؤسس هذه المذاهب الفكرية. فمن التنجيم نما علم الفلك الحديث، ومن الكيمياء نمت الكيمياء الحديثة، ومن النفس الخفية تحدر مذاهب علم النفس الحديثة. ولكن لا يجب أن نقول أن القدماء كانوا جاهلين بما تدعيه المذاهب الحديثة أنها ملكية خاصة ومقصورة عليهم. فإن المنقوشات الموجودة على آثار المصريين القدماء تبين أن القدماء كانوا على معرفة كبيرة بالفلك، إذ يبين بناء الأهرامات الاتصال بين تصميمهم ودراسة العلوم الفلكية، إضافة إلى أنهم لم يكونوا جهلاء بالكيمياء، فإن المخطوطات القديمة تبين أنهم كانوا مطلعين على القيمة الكيميائية للأشياء؛ وفي الواقع، إن النظريات القديمة حول الفيزياء تغيرت بشكل بطيء نحو طريق مختلف عن الاكتشافات العلمية الحديثة، وبالأخص النظريات المتعلقة بتكوين المادة. ولا ينبغي أن نقول إنهم لم يكونوا على دراية بما يسمى بالاكتشافات الحديثة في علم النفس، بل على العكس، فإن المصريين كانوا على مهارة خاصة في علم النفس، خاصة في الفروع التي يجهلها المذاهب الحديثة، والتي على الرغم من ذلك لم تدخل تحت اسم "العلوم الفيزيائية" التي حيرت العلماء النفسيين المعاصرين، والتي أكرهتهم على قول " ربما يكون فيها شيء بعد كل ذلك".

والحقيقة في الفلك وعلم النفس أن القدماء كانوا على دراية كبيرة بالفلك، والذي قد سمي بالتنجيم؛ وليس ذلك كل شيء بل كانوا على دراية كبيرة بالكيمياء وعلم النفس والتي سميت بالنفس الخفية. ولقد كانت عندهم المعرفة الباطنة كما كان عندهم المعرفة الظاهرة التي كانت عند العلماء المعاصرين. وقد كان من بين فروع المعرفة العديدة عند هرمس ما يعرف بالتحول العقلي، الذي يمثل المادة العلمية في هذا الدرس.

يستخدم مصطلح " التحول" للدلالة على فن تحول المعادن، لاسيما المعادن الخسيسة إلى الذهب ولكن تعني "التغيير من طبيعة إلى أخرى أو من مادة إلى أخرى". وعليه، فإن التحول العقلي يعني فن تغيير وتحويل أحوال وأشكال وظروف العقل إلى أحوال وأشكال وظروف أخرى. ولذا يمكن أن ترى أن التحول العقلي هو" فن الكيمياء العقلية".

بيد أن هذا المعنى بعيد عن المعنى الظاهر، فإن التحول أو الكيمياء عند الشعور العقلي مهم بدرجة كافية في نتائجه، لتكون على يقين، وإذا تعطل الفن فإنه سيبقى واحدا من أهم فروع الدراسة التي عرفها الإنسان. ولكن هذه هي البداية. لنرى لماذا.

إن أول مبدأ من مبادئ هرمس هو مبدأ العقلانية، وحقيقته أن" المطلق عقل ؛ الكون عقلي"، ويعني ذلك أن أساس حقيقة الكون هي العقل؛ وأن الكون في نفسه عقلي، وأن هذا " موجود في عقل المطلق". وسنتطرق لهذا المبدأ ولكن في الدروس التالية، ولكن دعونا نرى نتيجة هذا المبدأ بافتراض صحته.

الكون عقلي بطبيعته، إذا يجب أن يكون التحول العقلي فنا من تغير ظروف الكون، تماما مع مكونات المادة، القدرة والعقل. لذا ترى أن التحول العقلي هو السحر في حقيقته، الذي قال عنه الكتاب القدامى في أعمالهم الخفية، وقد أخرجوا حوله بعض التوجيهات العملية. فإذا كان المطلق عقل، فإن الفن الذي يعين المرء على تحويل الظروف العقلية يجب أن يقدم للحكيم المتحكم في الظروف المادية وكذلك ما يسمى عادة " بالعقلية"

وحقيقة الأمر، لم يستطع أحد إلا الكيميائيين العقليين القدامى أن يحصل على درجة القدرة الضرورية للسيطرة على الظروف الطبيعية القاسية، مثل السيطرة على مكونات الطبيعة؛ أو إثارة أو إيقاف العواصف؛ أو إحداث أو إيقاف الزلازل والظواهر الطبيعية العظيمة. ولكن وجود مثل هؤلاء الرجال، والموجودون حاليا، هو حقيقة الإيمان الخالص عند جميع علماء السر المتقدمين في جميع المذاهب. وقد ظهر الحكماء، ومعهم تلك القوى، أفضل المعلمين يطمئنون طلابهم، ومعهم الخبرات التي تعلل إيمانهم بهذه العقائد والأخبار. ولم يظهر هؤلاء الحكماء قوتهم للعامة، ولكنهم طلبوا العزلة عن الناس ليتمكنوا من العمل بشكل أفضل على طول الطريق للوصول

لمقصدهم. وإنما نذكر وجودهم، في هذه النقطة، فقط لنلفت الانتباه للحقيقة أن قوتهم تكمن بالكامل في عقليتهم، والعمل دائماً مع خطوط التحول العقلي السامي.

" الكون عقلي" الكابليون.

ولكن يستطيع الطلاب والهرمسيون، الملقنين والمعلمين، الأدنى درجة من الحكماء العمل مع المستوى العقلي، في التحول العقلي. وفي الحقيقة إن ما نسميه" الظواهر الطبيعية، " التأثير العقلي"، " العلوم العقلية"، "ظواهر الفكر الجديد"، إلخ، تعمل مع نفس الخطوط العامة، لأنه لا يوجد إلا مبدأ واحد مشترك، بغض النظر عن اسم الظاهرة.

يعمل طلاب وممارسي التحول العقلي بين المستوى العقلي وتحويل الظروف العقلية والأحوال في الآخرين، طبقا للصيغ المختلفة، أكثر أو أقل تأثيرا. إن المعالجات والتأكيدات والإنكارات في مدارس العلوم العقلية كلها ناقصة وغير كافية، ما عدا صياغات الفن الهرمسي. والأغلبية العظمى من الممارسين المعاصرين جهلاء عند المقارنة بالحكماء القدامى، لأنهم عندهم تقص في المعرفة الأساسية التي قام عليها العمل.

من الوارد أن لا تتغير الحالة العقلية عند شخص ما أو تنتقل عن طريق الطريقة الهرمسية، وإنما يمكن أن تتغير حالة الآخرين أيضا، وتتغير دوما بنفس الطريقة، عادة بلا وعي، ولكن غالبا ما تكون بوعي عن طريق فهم القوانين والقواعد وذلك في الحالات التي لم يخبر الناس فيها بقواعد الدفاع عن النفس. وأكثر من ذلك، كما يعلم العديد من الطلاب والممارسين للعلوم العقلية المعاصرة، إن كل ظرف مادي يعتمد على الأشخاص الآخرين يمكن أن يتغير أو يتحول طبقا للرغبة الجادة، ومعاملات الشخص رغبة في ظروف الحياة المتغيرة. ولقد علم العامة بهذه الأشياء في الوقت الحاضر، ونعتقد أنه ليس من الضروري أن نذكر نفس الأشياء بالتفصيل، فهدفنا في هذه النقطة هو توضيح المبدأ الهرمسي والفن المؤسس لكل هذه الأشكال المختلفة من الممارسة، من الخير أو الشر، لأن القدرة يمكن أن تستغل في الاتجاهات المضادة طبقا لمبدأ هرمس في الازدواجية.

وسوف نعرض في هذا الكتاب الصغير للمبادئ الأساسية للتحول العقلي، وسيفهم كل من يقرأ المبادئ المؤسسة، ومن ثم يمتلك المفتاح الرئيسي الذي سيفتح العديد من أبواب مبدأ الازدواجية.

وسنواصل الآن نظرا لأهمية المبدأ الأول من مبادئ هرمس السبعة، مبدأ العقلانية، الذي شرحنا فيه الحقيقة أن " المطلق هو العقل"؛ " الكون عقلي"، من الكابليون. ونرجو دراسة هذا المبدأ العظيم بعناية وحرص شديدين، لأن هذا المبدأ هو المبدأ الأساسي لفلسفة هرمس بالكامل، والفن الهرمسي للتحول العقلي.

الفصل الرابع

المطلق

" تحت، وخلف، الكون الزمني، الحيز والتغيير، يمكن العثور على الواقع الملموس– الحقيقة الأساسية" الكابليون.

" الجوهر" يعني: " أساس كل المظاهر الخارجية، الجوهر، الحقيقة الجوهرية، الشيء في ذاته"، إلخ. "جوهري" يعني: موجود بالفعل، كونه المكون الجوهري، كونه حقيقي"، إلخ. "الحقيقة" تعني: " كونه حقيقي، واقعي، ثابت، قانوني، راسخ، دائم، فعلي"، إلخ.

وراء كل المظاهر الخارجية لابد وأن يكون هناك حقيقة جوهرية. هذا هو القانون، يحترم الإنسان الكون الذي هو وحدة منه، لا يرى شيء ولكنه يغير في المادة والقوى والحالات العقلية. وهو يرى ذلك لا يكون شيء، ولكن هذا المطلق مناسب ومتغير. لا شيء يظل جامدا، كل شيء له يولد وينمو ويموت، والشيء الحاضر يصل إلى منتهاه، ويبدأ في الاضمحلال. إن قانون التناغم في عمل دؤب، ليس هناك واقع أو نوع ثابت أو استقرار أو جوهرية في أي شيء، لا يوجد شيء دائم على حاله، بل الكل يتغير. فيرى كل شيء يخرج من الأشياء الأخرى، ويحل في الأشياء الأخرى، الفعل ورد الفعل الدائم، فيضان الماء وتسربه، البناء والهدم، الخلق والإبادة، الميلاد والشباب والموت. لا شيء يدوم بل كل شيء يتغير. وإذا كان رجلا مفكرا، فإنه سيدرك أن كل هذه الأشياء المتغيرة يجب أن تكون مظاهر خارجية أو تجليات لبعض القوى الأساسية.

وقد افترض كل المفكرين في جميع الأمصار والأزمان ضرورة التسليم بوجود هذه الحقيقة الثابتة. وقد قامت كل الفلسفات على هذا الاعتقاد. وقد أطلق رجال الفلسفة على هذه الحقيقة الثابتة أسماء كثيرة، فقد سماها البعض بالإله. وقد سماها البعض" القدرة الأبدية والسرمدية"، وقد حاول البعض الآخر أن يسميها" المادة"، ولكن الجميع قد أقر بوجودها. فهي حقيقة في ذاتها ولا تحتاج إلى استدلال.

وقد اتبعنا في هذه الدروس نماذج من أكبر مفكري العالم السريين قديما وحديثا، وقد سمينا هذه القدرة الأساسية، هذه الحقيقة الراسخة، بالاسم السري" المطلق"، والذي نعتبره أكثر المصطلحات شمولية من بين المصطلحات التي وضعها الإنسان.

نقر وندرس نظريات كبار العلماء السريين في جميع العصور، وكذلك نظريات أصحاب النفوس الزكية الذين بلغوا أعلى درجات الوجود، وقد أكد كلا الفريقين أن الطبيعة الخفية للمطلق لا يمكن إدراكها. ويجب أن يكون الأمر كذلك، لأن العدم يمكن أن يشمل طبيعته وكنهه عن طريق المطلق ذاته.

يعتقد السريين بل ويدرسون أن المطلق" في ذاته" لا يمكن إدراكه على الإطلاق. ويجلون كل هذه النظريات والتخمينات المتلقة بالإلهيين والماورائيين حول الطبيعة الخفية للمطلق، باستثناء جهود العقل البشري السخيفة لإدراك سر اللانهائية. وقد فشلت هذه الجهود وستفشل دائما. وإن شخصا يتبع مثل هذه سيصول ويجول في متاهات الفكر، حتى يتيه طلبا للفكر أو الفعل أو السلوك، وفي النهاية فهو غير ملائم للحياة. فهو مثل السنجاب الذي يجري بلا وعي بين أسلاك قفصه. يدور دائما ولكنه لا يصل إلى أي مكان، وفي نهاية المطاف يقف فقط في المكان الذي بدأ منه.

ولا يكف أولئك عن وقاحتهم في محاولتهم أن ينسبوا للمطلق الشخصية والمواصفات والملكية والخصائص والصفات التي يمتلكونها، وينسبون إلى المطلق الانفعالات والمشاعر والخصائص البشرية، حتى الصفات البشرية الدنيئة، مثل الحسد والنفاق والمدح، والرغبة في تقديم القرابين والعبادة، وغيرها منذ أيام طفولة الجنس. ومثل هذه الأفكار لا تستحق رجلا راشدا ولا امرأة، كما أنها طرحت سريعا.

ويجدر بنا في هذا الصدد أن أذكر أننا نفرق بين الدين والألوهية، وبين الفلسفة والماورائية (الميتافيزيقا). فالدين بالنسبة لنا يعني الإدراك البديهي لوجود المطلق، وعلاقة المرء به؛ بينما الألوهية تعني محاولات البشر لإلحاق الشخصية والمواصفات والخصائص له؛ وتتعلق نظرياتهم بشؤنه وإرادته ورغباته وخططه وتصميماته، وكذلك ادعائهم منصب " الرجل الوسيط" بين المطلق والناس. وتعني الفلسفة بالنسبة لنا التحقق بعد معرفة الأشياء التي يمكن معرفتها وتصورها؛ بينما الماورائية تعني محاولة التحقق فوق ووراء الحدود التي يمكن معرفتها وتصورها، وبنفس الميول الموجودة في الإلهية. ومن ثم، فإن الدين والفلسفة يعنيان بالنسبة لنا الأشياء التي لها أصول في الواقع، بينما الإلهية والماورائية تبدوان كقصبة مكسورة، تعود جذورها إلى أوحال الجهل، وحمل التفاهات والمساندة غير المستقرة لقعل أو نفس الإنسان. ولا نصر أن يقبل طلابنا هذه التعريفات، وإنما نسوقها فقط لتوضيح موقفنا منها. وعلى أية حال، ستستمع إلى شيء يسير عن الإلهية والماورائية في هذه الدروس.

وبينما لا يمكن إدراك الحقيقة الأساسية للمطلق، هناك بعض الحقائق التي تتعلق بوجوده يجد المرء نفسه مجبرا على قبولها. وتجربة هذه الروايات من مادة ملائمة للتحقق، لاسيما لأنهم قد اتفقوا مع الروايات على المستويات العليا. ولهذا التحقق ندعوكم الآن.

" إن هذا الذي هو الحقيقة الأساسية وراء الاسم الصحيح، ولكن الحكيم يسميه المطلق" الكابليون.

" إن المطلق في جوهره لا يمكن إدراكه" الكابليون.

" لكن يجب تلقي الروايات العقلية بحفاوة، ويجب التعامل معها بإجلال" الكابليون.

إن الروايات التي العقلية الذي يجب علينا أن نقبلها ما دمنا نؤمن بها تخبرنا بالتالي حول المطلق، وذلك دون محاولة كشف الحجاب عما لا يمكن إدراكه:

(١) يجب أن يكون المطلق مطلقا وهذا هو الحاصل. ولا يمكن أن يوجد شيء خارج المطلق، وغير المطلق لا يمكن أن يكون مطلقا.

(٢) يجب أن يكون المطلق بلا نهاية، لأنه لا يوجد شيء يحدد أو يقيد المطلق أو يقصره على شيء ما.

يجب أن يكون بلا نهاية في الوقت أو يكون سرمديا، وكذلك يجب أن يكون دائم الوجود، لأنه لا يوجد شيء أخر يمكن أن يكون قد خلقه، ولا يوجد شيء أبدا ينشأ من لا شيء، وإذا كان فإنه لا يكون ولو للحظة، فإنه غير موجود الآن، إنه يجب أن يكون موجودا للأبد، ولا يوجد شيء يدمره، ولا يمكن أن يغيب ولو للحظة، لأن الشيء لا يمكن أبدا أن يكون لا شيء. وإنه يجب أن لا يكون محدودا في السعة، فهو يجب أن يكون في كل مكان، لأنه لا يوجد مكان يخلو من المطلق، ولا يمكن أن بشكل آخر مستمر في السعة، دون انقطاع أو توقف أو انفصال أو تعطل، لأنه لا يوجد شيء يقطع أو يفصل أو يعطل سعته، ولا يوجد شيء معه ليملأ الفراغات. ويجب أن لا يكون محدود القدرة أو الإطلاق، لأنه لا يوجد شيء يحدده أو يقيده؛ فلا يوجد مادة لقدرة أخرى، لأنه لا يوجد قدرة أخرى.

(٣) يجب أن يكون المطلق ثابت لا يتغير، أو غير معرض لتغيير طبيعته، لأنه لا يوجد شيء يحدث عليه التغييرات، فلا شيء فيه يمكن أن يتغير ولا شيء منه يمكن تغيير. وإنه لا يمكن أن يضاف إلى شيء أو أن يستمد من شيء زيادة أو نقصا، ولا يكون أقل أو أكثر في جهة ما بحال من الأحوال. فإنه كان وسيظل، فلم يكن هناك شيء آخر داخل المطلق ليغيره أبدا.

فإذا كان المطلق بلا نهاية ومطلق ودائم وغير قابل للتغيير، فيلزم من ذلك أن كل ما شيء له نهاية وقابل للتغيير وزائل ويتغير حسب الظروف لا يمكن أن يكون المطلق. وإذا كان ليس هناك شيء خارج المطلق في الحقيقة، إذا فإن هذه الأشياء الفانية يجب أن تكون لا شيء في الحقيقة. والآن لا تقلق، فلا نعمل على إدخالك في حقل العلوم النصرانية تحت ستار الفلسفة السرية. وهناك توفيق بين هذه الأمور المتناقضة. فلا تتعجل، سنصل إليها في الوقت المناسب.

نرى من حولنا ما يسمى" بالمادة"، والتي تمثل الأساس الطبيعي لكل الأشكال. فهل المطلق مادة؟ ليس على الإطلاق! فلا يمكن للمادة أن تظهر العقل أو الحياة، وبما أن العقل والحياة ظاهرين في هذه الحياة، إذا فإن المطلق لا يمكن أن يكون مادة، لأنه لا شيء يعلو عن أصله، ولا شيء يظهر في نتيجة دون وجوده في السبب. ويخبرنا العلم الحديث أنه لا يوجد مثل هذا الشيء المادي، وأن ما نسميه بالمادة هو محض" طاقة مقطوعة أو قوة"، وهذا يعني أن الطاقة أو القوة

على مستوى مدني من الاهتزاز. وكما يقول الكاتب المعاصر" لقد ذابت المادة في الخفاء". وحتى العلوم المادية قد تخلت عن نظرية المادة، وتركز الآن على أساس الطاقة.

إذا، هل المطلق محض طاقة أم قوة؟ ليس طاقة ولا قوة بالمصطلح الذي يستخدمه الماديون، لأن طاقتهم وقوتهم عمياء، وامور ميكانيكية، مجردة من الحياة أو العقل. ولا يمكن أن تنشأ الحياة والعقل أبدا من الطاقة أو القوة العمياء، للسبب الذي ذكرناه للتو:" لا شيء يعلو على أصله، ولا يتطور إلا بعد نشأته، لا شيء يظهر في النتيجة حتى يكون موجودا في السبب". ولذا، فإن المطلق لا يمكن أن يكون طاقة أو قوة محضة، لأنه إذا كان كذلك، فلن يكون شيء من الحياة أو العقل موجودا، ونحن نعلم أكثر من ذلك، لأننا أحياء ونستخدم العقل لندرس هذه المسألة، وكذلك من يزعمون أن الطاقة أو القوة هي كل شيء.

إذا ما هو الشيء الذي يفوق المادة أو الطاقة الذي نعلمه في هذا الكون؟ الحياة والعقل. الحياة والعقل في جميع درجاتهم المتفاوتة. إذا، تتساءل، هل تريد أن تخبرنا أن المطلق هو الحياة والعقل؟ نعم ولا، هذه هي الإجابة. إذا كنت تقصد العقل والحياة كما نعرفها نحن البشر، أقول لا، ليس المطلق كذلك. فتتساءل من جديد:" أي نوع من الحياة والعقل إذا؟

الإجابة هي " العقل الحي" كما أشرنا سابقا إلى ما يعرفه البشر بهذه الكلمات، لأن العقل والحياة أعلى من القوى الميكانيكية، أو مسألة العقل الحي اللامحدود عند المقارنة بالحياة والعقل المحدودَين. ونقصد ما تنطق به النفوس الزكية بشكل متداخل كلمة" الروح".

" المطلق هو العقل الحي اللامحدود. ويسميه أصحاب النفوس الزكية بالروح.

الفصل الخامس

الكون العقلي

"الكون عقلي، ويعقد في عقل المطلق" الكابليون.

المطلق هو الروح، لكن ما هي الروح؟ لا يمكن الإجابة على هذا السؤال، وذلك لأن كلمة المطلق عمليا لا يمكن تفسيرها أو تعريفها. والروح هي مجرد الاسم الذي يطلقه الناس على المفهوم الأعلى للعقل الحي اللانهائي وهو ما يعني "الجوهر الحقيقي" والذي تتخطى فيه الروح أفهامنا حينما يتفوق العقل الحي على العقل والحياة وتتفوق الحياة على الطاقة والمادة، ونحن نستخدم التعبير فقط لأننا من الممكن أن نتحدث عن المطلق أو نفكر فيه، ولإعمال الفكرة والفهم ينبغي أن نظهر رضانا عن فكرة أن الروح عقل حي لا نهائي، مع الاعتراف أن هذه الفكرة غير مفهومة بشكل كامل. لذا يجب علينا التفكير في ذلك أو التوقف عن التفكير في المسألة برمتها.

والآن دعونا نمضي قدما إلى النظر في طبيعة الكون ككل والنظر أيضا إلى أجزاءه. فما هو الكون؟ لقد رأينا أنه لا يمكن أن يوجد شيء خارج المطلق فهل الكون هو المطلق؟ لا، فهذا لا يمكن، لأن الكون يتكون من العديد من الأشياء ويتغير باستمرار، وبطرق أخرى لا ترقى حتى إلى مستوى الأفكار التي نضطر لقبولها باعتبارها المطلق كما جاء في درسنا السابق. فلو لم يكن الكون هو المطلق فلابد أن يكون عدما، وهذا هو الاستنتاج الحتمي للعقل الناظر في ذلك، ولكن هذا لا يجيب على سؤالنا لأننا نعقل وجود الكون فإذا لم يكن الكون هو المطلق ولا العدم فماذا يكون إذا؟ دعونا ننظر في هذه المسألة.

في حالة وجود الكون مطلقا أو في حالة احتمال وجوده فيجب أن نبحث إذا في اتجاه المطلق ولابد أن يكون مِن خلقِه ولكن لا يوجد شيء يأتي من العدم فمن أي شيء يمكن للمطلق أن يخلق الكون. وقد أجاب بعض الفلاسفة على ذلك بالقول إن المطلق خلق الكون من نفسه، أي من الوجود ومن جوهر المطلق، ولكن هذا لا يستقيم، لأن المطلق لا يمكن أن ينبثق عن شيء ولا أن ينقسم كما رأينا. ومرة أخرى إذا كان الأمر كذلك لن تكون كل جزيئات الكون على علم بأنها هي نفسها المطلق، فالمطلق لا يمكن أن يفقد معرفته بنفسه ولا أن يصبح ذرة أو قوة عمياء أو كائن حي بسيط. لذا اعتقد بعض الناس أن المطلق هو كل شيء في الوجود، وسلموا بأنهم والرجال والموجودات والمطلق شيء واحد وأخذ الواحد منهم ينادي بأعلى صوته ويقول أنا الرب.

ولكن ما هو الكون؟ إذا كان ليس المطلق ولا شيء خلقه المطلق فهل تفرق بنفسه إلى أجزاء؟ فماذا بقي بعد ذلك، من الذي خلق الكون إذا؟ هذا هو السؤال الأهم ولكن دعونا ندرس ذلك بعناية. يأتي معنا هنا مبدأ التواصل (انظر الدرس الأول) بديهية هرمس الأولى والتي تقول "ما يوجد في الأعلى يوجد في الأسفل"

فستساعدنا هذه البديهية في بحثنا. فدعونا نلقي نظرة على تلك الأعمال من مستوى أعلى بتطبيق ما سنقوله على أنفسنا. فيجب أن يطبق مبدأ التناظر على هذه القضية وعلى القضايا الأخرى.

دعونا نرى ذلك على مستواه الخاص من الوجود، كيف يخلق الإنسان الأشياء؟ أولا، من الممكن أن يخلق الأشياء بعمل شيء ما من مواد ما ولكن لا يستقيم هذا لأنه لا توجد مواد خارج المطلق يستطيع بها خلق شيء آخر. ثانيا يمكن للرجل البالغ ايجاد نوعه بواسطة الإنجاب أو التكاثر وهذا تضاعف ذاتي تم عن طريق تحويل جزء منه إلى ذريته. ولن يستقيم هذا أيضا لأن المطلق لا يمكنه أن ينقل أو يطرح جزءا من ذاته ولا يمكن له أن يتكاثر أو يضعِّف نفسه لذا فتعد الفكرتين الأولى والثانية شيء من قبيل العبث. ألا يستطيع الرجل خلق شيء بطريقة ثالثة؟ نعم يستطيع فمن الممكن أن يخلق الأشياء بعقله، فلا يستخدم بذلك المواد الخارجية ولا هو ينجب نفسه، وتعم روحه الآن الخلق العقلي.

وباتباع مبدأ التواصل، فقد عللنا باعتبار أن المطلق خلق الكون بطريقة عقلية، في حالة مماثلة للطرقة التي يكن بها الإنسان الصور العقلية. وهنا يواءم بيان العقل بمنتهى التطابق مع بيان المستنيرين، كما وضحت تعاليمهم ومقالاتهم. وهذه هي تعاليم الحكماء. و كانت هذه هي تعاليم هرمس.

ولا يمكن للمطلق أن يخلق بطرقة غير الطريقة العقلية، بدون استخدام المادة(ولا يوجد أحد يستخدمها)، أو المنتجات الأخرى بذاتها(وهذا أمر مستحيل أيضا). فليس هناك فرار من حكم العقل، الذي يتفق مع تعاليم المستنيرين كما أشرنا. كما أنكم كطلاب يمكنكم أن تجدو كونا بعقليتكم الخاصة، وكذلك المطلق يخلق الأكوان بعقليته الخاصة. ولكن كونكم خلق عقلي من عقل محدود، بينما كون المطلق مخلوق من العقل المطلق. فكلاهما متشابه في النوع ولكن يختلفان في الدرجة حسب المحدودية. وسوف نتعمق بقرب في عملية الخلق والإيجاد كما نواصل. ولكن هذه هي النقطة التي ينبغي أن تترسخ في عقولكم في هذه المرحلة: إن الكون بجميع مكوناته هو خلق عقلي من مخلوقات الكون. حقا، المطلق عقل.

" يخلق المطلق بعقله المطلق ما لا يحصى من الأكوان، والتي تستمر إلى ما لا نهاية، والخلق والنشأة وموت الملايين من الأكوان ما هو إلا طرفة عين بالنسبة للمطلق" الكابليون.

" إن عقل المطلق هو أساس جميع الأكوان" الكابليون.

يتضح مبدأ النوع (انظر الدرس الأول والدروس التالية) في جميع مستويات الحياة، المادية والعقلية والروحية. ولكن" النوع" لا يعني الجنس، كما أشرنا من قبل، فالجنس تعبير مادي عن النوع. فالنوع يعني " العلاقة بالنسل أو الخلق". ولابد أن يظهر مبدأ النوع عندما يوجد شيء أو يخلق على أي مستوى. وهذا هو الوضع الصحيح حتى في خلق الكون.

والآن لا تقفز إلى الخلاصة التي نعلمها وهي أن هناك إله ذكر وإلهة أنثى. فالفكرة هي تحريف التعاليم القديمة حول القضية. فالتعاليم الصحيحة هي أن المطلق في ذاته أعلى من النوع، وأي قانون أخر كما أشرنا من قبل، بما في ذلك الزمان والسعة. إنه القانون الذي تنشأ منه القوانين، كما أنه لا يخضع لهذه القوانين. ولكن عندما يظهر المطلق على مستوى النسل أو الخلق، فإنه يعمل طبقا للقانون والمبدأ، بسبب انتقاله على أدنى مستوى من الوجود. وعليه فإنه يظهر مبدأ النوع، في شكليه المذكر والمؤنث، بالطبع على المستوى العقلي.

وربما تبدو هذه الفكرة صادمة للبعض منكم الذين يسمعونها للمرة الأولى، ولكنكم قد تقبلتموها في تصوراتكم اليومية. فأنتم تتحدثون عن أبوية الإله، وعن طبيعة الأمومة عند الإله، والأب الإلهي وطبيعة الأم الكونية، ومن ثم قد أقر بالفطرة مبدأ النوع. أليس كذلك؟

ولكن التعاليم الهرمسية لا تتضمن ازدواجية حقيقية– المطلق واحد– وكلا الشكلين ما هما إلا شكلين للتجلي. وتقول التعاليم أن المبدأ المذكر يتجلى من خلال مواقف المطلق، فضلا عن الخلق العقلي الحقيقي للكون. أنها تدفع إرادتها نحو المبدأ المؤنث (ويمكن أن يسمى بالطبيعة) وعندئذ فإن المخلوقات اللاحقة ما هي إلا عمل حقيقي للتطور الكون، من " مراكز الأنشطة " البسيطة في طبيعة البشر، ومن ثم تستسر في الارتفاع، وكل هذا طبقا لقوانين الطبيعة التي فرضت بقوة وبشكل ثابت. وإذا كنت تميل شخصيات الفكر القديمة، ربما تعتقد أن المبدأ المذكر هو الإله الأب، وأن المبدأ المؤنث هو الطبيعة والأم الكونية، الذين من رحمهما نشأت كل الأشياء. ويعد ذلك أكثر من كونه حديثا شعريا، وإنما هو حقيقة عملية خلق الكون. ولكن تذكر دائما، أن المطلق واحد، ومن خلال عقله المطلق خلق الكون وأوجده.

وإذا طبقت قانون التواصل على نفسك وعلى عقلك، يمكن أن يساعدك في إيجاد الفكرة المناسبة. وكما تعلم أن هذا الجزء منك الذي تسميه "أنا"، يقف جانبا ويشهد على إيجاد الصور العقلية في عقلك. ويمكن تسمية الجزء الذي ينتج التوليد العقلي في عقلك بضمير المتكم "الياء" تمييزا له من ضمير المتكلم "أنا"، الذي يشهد ويفحص المعتقدات والأفكار والتصورات من ضمير المتكلم" الياء". " كما في الأعلى، كما في الأسفل"، تذكر أن الظاهرة في أحد المستويات يمكن أن تعمل على حل ألغاز المستويات العليا أو الدنيا.

هل هذا الأمر غريب بالنسبة لك، هل تشعرون بالتوقير الجبلي للمطلق، وهذا الشعور هو ما نسميه "بالدين"، هل الشعور بإجلال وتوقير عقل الأب؟ هل الأمر غريب عندما تتأمل أعمال وغرائب الطبيعة، وتتغلب بشعور قوي تعود نشأته إلى أعماق وجودك؟ إنه عقل الطبيعة الذي تصر على الاقتراب منه، مثل اقتراب الرضيع من الثدي.

لا تظن خطأ أن هذا العالم الصغير "الأرض" الذي تراه من حولك هو الكون نفسه. فهناك الملايين والملايين من هذه العوالم وأكثر. كما أن هناك الملايين والملايين من الأكوان الموجودة عن طريق عقل المطلق. وحتى في نظامنا الشمسي هناك مساحات ومستويات من الحياة أعلى بكثير من التي نعيش فيها. وهناك مخلوقات

تتمتع قدرات أكبر من التي يتمتع بها الإنسان تقارب التي يمتلكها الإله. وقد كانت هذه المخلوقات مثلك في وقت ما، واستمرت في الانحطاط، وستكون مثلها كذلك، ثم تستمر في العلو في الوقت المناسب، لأن هذا هو نصيب البشر كما يقول المستنيرون.

والموت ليس حقيقيا، بل هو بداية لحياة جديدة، وستستمر وتستمر في الوصول للأعلى وتظل في أعلى مستويات الحياة أبد الآبدين. والكون هو بيتك، وستتوصل إلى أعماق أعماقه قبل زوال الحياة. وستظل في عقل المطلق، ولكن إمكانياتك وقدراتك لا تزال محدودة في الوقت وفي السعة. وفي نهاية الدورة الكبرى للحياة الأبدية، وعندما يسترجع المطلق كل مخلوقاته، ستنطلق بكل سرور لأنك ستكون قادرا على معرفة حقيقة الوجود كلها مع المطلق. وهذا هو قول المستنيرين، أولئك الذين تقدموا بشكل طيب مع الطريق.

وكذلك في نفس الوقت الهدوء والسكينة، فأنت آمن ومحمي بقوة عقل الأب والطبيعة المطلق.

" أطفال البشر في بيتهم من خلال عقل الأب والطبيعة". الكابليون.

" لا يوجد أحد يتيم الأب والأم في هذا الكون" الكابليون.

الفصل السادس

التناقض الإلهي

" إن أنصاف الحكماء، يقرون بالزيف المقارن للكون، تخيل أنهم يرفضون قوانينه، مثل هؤلاء مغرورون وحمقى وقحين، ويكسرون على الصخور وتمزقهم قوى الطبيعة بسبب حماقتهم. إن الحكيم بحق هو الذي يعرف طبيعة الكون، ويستخدم القانون مقابل القوانين، والأعلى مقابل الأدنى، وعن طريق فن الكيمياء يحول الشيء الخسيس إلى شيء ذي قيمة، وهذا هو الانتصار. إن السيادة لا تتكون من الأحلام الشاذة والرؤى والخيالات الرائعة ، ولكن باستخدام القوى العليا مقابل القوى السفلى، فرارا من آلام المستويات السفلى بالاهتزاز في العليا. إن التحويل، وليس الانكار الوقح، هو سلاح الحكيم" الكابليون.

إن هذا التناقض الكوني ناشئ عن مبدأ الازدواجية عندما يبدأ المطلق في الخلق يستمع إليها لأنها تظهر الفرق بين الحكماء وأنصاف الحكماء. بينما بالنسبة للمطلق والكون وقوانينه وقدراته وحياته وظواهره كأشياء شاهدة في حالة التأمل أو الحلم؛ إذا فإن كل هذا له حدود، ويجب أن يعمل الكون معاملة واقعية، كما يجب أن تعامل الحيلة والعمل والفكر على نفس الأساس، مع الفهم الراقي للحقيقة العليا. كل حسب قواعده ومستوياته الخاصة.

كان على المطلق أن يتصور أن الكون حقيقي بالفعل، لأنه لا يوجد مفر من الارتقاء من الأسفل إلى الأعلى، ثم يصبح الكون ثابتا ومتطورا وهذا أمر محال. وإذا كان الإنسان يعمل ويعيش ويعتقد أن في الكون على أنه مجرد حلم، بسبب أنصاف الحكماء، فإنه سيكون كذلك بالفعل بالنسبة له، مثل السائر النائم الذي يتخبط في مشيه في نطاق دائرة محددة، ولا يحدث تقدما، ومجبر على الاستيقاظ على الأقل عن طريق سقوطه وحزنه على القوانين التي تجاهلها. ضع عقلك دائما فوق النجوم، ولكن اترك عينيك تشاهد خطواتك، خشية أن تقع في الوحل بسبب نظرتك المتعالية. تذكر التناقض الإلهي، الذي يقول بينما الكون لا شيء، فإنه في الحقيقة شيء. وتذكر قطبي الحقيقة المطلق والنسبي. واحذر من أنصاف الحقائق.

إن ما يعرفه الهرمسيون "بقانون التناقض" هو أحد جوانب قانون الازدواجية. وإنك لتجد الكتابات الهرمسية مليئة بالمراجع حول ظهور التناقض في التأمل في مسائل الحياة والوجود. ودائما ما يحذر المعلمون طلابهم من إهمال الجانب الأخر من أي قضية. وتتبع تحذيراتهم من مسائل المطلق والنسبي على وجه الخصوص، والتي تحير كل طلاب الفلسفة، والتي تتسبب في أن يفكر ويعملون عكس ما هو معروف عموما " بالشعور المشترك". ونحن نهيب بجميع الطلاب أن يفهموا هذا التناقض الإلهي حول المطلق والنسبي، خشية أن يقعوا في براثن أنصاف الحقائق. ولهذا السبب كتبنا الدرس. فاقرأه جيدا.

إن أول فكرة تخطر ببال المفكر بعد أن يدرك حقيقة أن الكون هو خلق عقلي للإله، هو أن الكون وما فيه ما هو إلا وهم وخيال، ثم تثور فطرته ضد هذه الفكرة. ولكن يجب أن ننظر إلى هذه الحقيقة من المنظورين المطلق والنسبي مثل باقي الحقائق الكبرى. فمن المنظور المطلق، إن الكون وهم وحلم وخيال، عند مقارنته بالمطلق ذاته. ونحن نقر بهذا حتى من منظورنا الطبيعي، لأننا نتحدث عن الكون كسطح مستو، يظهر ويختفي، يولد ويموت، فيجب أن يتصل بفكرة الكون المخلوق عندما تتناقض مع فكرة المطلق، وليس المهم ماذا تكون عقيدتنا حو طبيعة كليهما. يتفق الفلاسفة والماورائيون والعلميون والإلهيين على هذه الحقيقة، وتوجد هذه الفكرة في جيع أشكال الفكر الفلسفي والمفاهيم الدينية، وكذلك في نظريات مذاهب الماورائيين والإلهيين.

لذا، فإن التعاليم الهرمسية لا تبشر بوهن الكون في مصطلحات أقوى من التي تألفها، على الرغم من أن عرضهم للمادة ربما يكون مذهلا نوعا ما. إن أي شيء له بداية ونهاية يجب أن يكون غير واقعي وغير طبيعي، ويقع الكون تحت هذه القاعد ة عند جميع مذاهب الفكر. ومن المنظور المطلق، فليس هناك شيء حقيقي إلا المطلق، ولا يهم في ذلك المصطلحات التي يمكن أت تستخدمها في التفكير في الأمر أو مناقشته. سواء كان الكون مخلوقا من المادة أم كان خلقا عقليا من عقل المطلق، فإنه لا أساس له، وله نهاية وسعة ويتغير. ونود أن تدرك هذه الحقيقة قبل أن تبرهن على المفهوم الهرمسي حول الطبيعة العقلية للكون. فكر في الجميع وغيرها من المفاهيم الأخرى، وانظر إذا ما كانت الصحيحة منهم.

ولكن المنظور المطلق يعرض جانبا واحدا من الصورة، والجانب الآخر هو المنظور النسبي. وقد حددت الحقيقة المطلقة بأنها" أشياء لأن عقل الإله يعرفهم"، بينما الحقيقة النسبية" أشياء لأن العقل الأرقى للإنسان يفهم". وكذلك يجب أن يكون الكون بالنسبة للمطلق خيال وغير حقيقي، وحلم أو نتيجة للتأمل، على الرغم من أن العقول المحدودة تشكل جزءا من هذا الكون وتقيمه من خلال المواهب البشرية، وبالفعل فإن الكون غاية في الواقعية، ويجب أن يكون كذلك. وبالاعتراف بالمنظور المطلق، يجب أن لا نرتكب خطأ بتجاهل أو إنكار الحقائق والظواهر الكونية كما تعرض نفسها لمواهبنا البشرية، وتذكر، لسنا نحن المطلق.

ولأخذ إيضاحات مألوفة، سنعترف بحقيقة أن المادة تظهر لحواسنا، وسنرحل على نحو سيء إذا لم نعترف. وحتى إن عقولنا المحدودة تدرك المثل العلمي أن لا يوجد مثل هذا الشيء المادي من المنظور العلمي، وإن ما نسميه المادة ما هو إلا مجموعة من الذرات، وتمثل هذه الذرات ذاتها مجموعة من وحدات الطاقة، تسمى بالإليكترونات أو" الأيونات"، تهتز وتظل في حركة دائمة. ويمكننا أن نركل حجرا ثم نرى التأثير، يبدو الأمر حقيقيا، ومع ذلك نعلم أنها ستكون كما أشرنا من قبل. ولكن تذكر أن قدمنا التي تستشعر التأثير عن طريق عقولنا، هي أيضا مادة، لذا فهي مركبة من اليكترونات، وكذلك تتركب عقولنا من الإليكترونات. وفى أحسن الظروف، إذا لم تكن بسبب بعقولنا، فإننا لم نكن لندرك القدم أو الحجر بالمرة.

مرة أخرى، فإن المفهوم الذي عند الفنان والنحات، والذي يسعى لإخراجه في الحجر أو على القماش، هو أمر حقيقي بالنسبة له. وكذلك تفعل الشخصيات في عقل المؤلف؛ أو الكاتب المسرحي، والتي يحاول أن يظهرها حتى يعلمها الجميع. وإذا كان ذلك حقيقي بالنسبة لعقولنا المحدودة، فما هي درجة الواقعية في الصور العقلية التي يخلقها العقل المطلق؟

نعم يا أصدقاء إن هذا الكون العقلي غاية في الواقعية بالنسبة للبشر، إنها الشيء الوحيد التي يمكن أن نعرفه، مع أننا نرتقي من مستوى إلى آخر. وللتعرف عليها بطريقة مختلفة، ولكن من التجربة الواقعية، يجب أن نكون المطلق نفسه. صحيح أننا نرتقي للأعلى في الميزان، ونقترب أكثر من عقلية الأب، والأكثر ظهورا يصبح الطبيعة الخيالية للأشياء المحدودة، ولكن ليس إلى أن يستردنا المطلق إليه في النهاية فتتلاشى الرؤية بالفعل.

لذا، لسنا بحاجة إلى أن نقف عل هيئة الوهم. بل لنقف على حقيقة الكون، ونسعى لإدراك قوانينه العقلية، ونحاول أن نستغلها لنتائج أفضل في الارتقاء للأعلى أثناء الحياة، لأننا ننتقل من مستوى إلى آخر. ولا يوجد في الكون اقل من" القوانين الحديدية" بسبب الطبيعة العقلية. والجميع يقبل بالمطلق. وما في عقل المطلق واقعي من الدرجة الثانية بالنسبة للواقعية ذاتها المترسخة في طبيعة المطلق.

لذا، لا تشعر بالقلق أو الخوف، فنحن جميعا تحت سيطرة عقل المطلق، ولا يوجد شيء ليؤذينا أو يقلقنا. فلا يوجد قوة خارج قوة المطلق يمكن أن تؤثر علينا. لذا فإن هذا يمكن أن يهدأ من روعنا ويبعث بالطمأنينة بداخلنا. وهناك عالم من الراحة والطمأنينة عندما يدرك المرء ذلك. لذا" ننام في أمان وسلام، متأرجحين في

جنح الظلام"، نستريح بأمان على صدر العقل المطلق، المطلق. وفي المطلق" نعيش ونتحرك ونشعر بالوجود".

والمادة مع ذلك مادة بالنسبة لنا، بينما نعيش على مستوى المادة، على الرغم من أننا نعلم أنها فقط مجموعة من الإلكترونات، أو ذرات من القوة، تهتز بسرعة وتدور حول بعضها في تكوينات الذرات؛ وتهتز الذرات وتدور، مكونة الجزيء، الذي يكون بعد ذلك كتلا أكبر من المادة. ولا تصبح المادة أقل من المادة، فعندما نتتبع السؤال يظل الأمر بعيدا، كما نتعلم من التعاليم الهرمسية، أن القوة التي تتكون منها الإلكترونات اهي إلا تجل لعقل المطلق، ومثل أي شيء آخر في الكون إنه عقلي بطبيعته. ويجب أن نعرف ظواهرها على مستوى المادة، ويمكننا السيطرة على المادة(كما يفعل الحكماء أصحاب المراتب العليا أو الدنيا)، ولكننا نفعل ذلك عن طريق تطبيق القوى العليا. ولقد ارتكبنا حماقة عندما حاولنا إنكار المادة في الجانب النسبي. يمكننا إنكار خفاءها من حولنا، وهذا صحيح ، ولكن يجب علينا أن لا نتجاهلها من المنظور النسبي، على الأقل ما دمنا نعيش علي سطحها.

ولا يمكن أن تصبح قوانين الطبيعة أقل ثباتا أو تأثيرا، عندما نعرف أنها خلق عقلي كذلك. إنها في كامل التأثير على المستويات المختلفة. ونتغلب على القوانين السفلى بتطبيق القوانين العليا، بهذه الطريقة فقط. ولكن ليس بإمكاننا أن نتهرب من القانون أو أن نعلو عليه بالكلية. لا أحد يمكن أن يتهرب من القانون إلا المطلق لأنه قانون في ذاته، وقد تفرعت منه باقي القوانين الأخرى. ويمكن أن يحصل معظم الحكماء المتقدمين القوى المنسوبة لألهه البشر؛ وهناك ما لا يحصى من مراتب الوجود، في التسلسل الهرمي العظيم للحياة، ويفوق وجوده وقوته تلك التي يتمتع بها الحكماء من بين البشر لدرجة غير معقولة، وحتى أعلى الحكماء وأعلى الموجودات يجب أن تخضع للقانون، ولا يكون ذلك شيء في نظر المطلق. ولذلك حتى إذا كانت هذه الموجودات العليا، والتي تفوق قوتها تلك التي ينسبها البشر إلى آلهتهم، وحتى إذا كانت خاضعة للقانون، إذا تخيل وقاحة البشر من جنسنا، عندما يجرؤ على اعتبار قوانين الطبيعة غير حقيقية وخيالية ووهمية، لأنه صادف فهم الحقيقة أن القوانين عقلية بطبيعتها، وما هي إلا خلق عقلي خلقه المطلق. وليست هذه القوانين التي حكم بها المطلق باقي القوانين محلا للجدال أو النقاش. وطالما أن الكون دائم فهي دائمة، لأن الكن يستمر بمقتضى هذه القوانين والتي تشكل البنية الأساسية التي تتسع لها جميعا.

وعندما يفسر مبدأ العقلانية الطبيعة الحقيقية للكون على أساس أن المطلق عقل، فإنه لا يغير المفاهيم العلمية للكون أو الحياة أو التطور. وفي الواقع، إن العلم يثبت صحة التعاليم الهرمسية. فالأخيرة تعلم أن طبيعة الكون عقلية، بينما العلم الحديث أخبر الكون مادي؛ أو أنه طاقة على آخر التحليلات. ولم تخطئ التعاليم الهرمسية أن تكتشف مع المبدأ الأساسي لهيربيرت سبنسر الذ يسلم بوجود "القوة الأبدية المطلقة، التي انبثقت عنها كل الأشياء". وفي الحقيقة، يعترف حكماء السر في فلسفة سبنسر بأرقى مقالات أعمال القانون الطبيعي المعروفة، ويعتقدون أن سبنسر تجسد في أحد الفلاسفة القدامى الذين عاشوا في مصر القديمة منذ آلاف السنين، ثم

تجسد بعد ذلك في هيراكلوس الفيلسوف اليوناني الذي عاش سنة ٥٠٠ قبل الميلاد. ويعتبرون مقالاته حول "القدرة الأبدية المطلقة" مباشرة على خط التعاليم السرية، مع إضافاتهم المقتبسة من مذاهبهم الخاصة أن "القدرة" هي قدرة عقل المطلق. وسيتمكن طلاب سبنسر من فتح العديد من أبواب المفاهيم الفلسفية الباطنية للفلاسفة الإنجليزيين الذين تعرض أعمالهم نتائج إعداد تجسده السابق، من خلال المفتاح الرئيسي للتعاليم السرية. وتتفق تعاليمه حول التطور والتناغم تماما مع التعاليم السرية حول مبدأ التناغم.

لذا، لا يحتاج طالب السر إلى أن يطرح أيا من أرائه العلمية المترسخة حول الكون جانبا. فكل ما يطلبه هو أن يدرك المبدأ الأساسي" المطلق عقل؛ الكون عقلي، ومترسخ في عقل المطلق". وسيكتشف بعد ذلك أن المبادئ الستة الأخرى تندرج تحت معرفته العلمية، وسيعمل على إظهار النقاط الخفية وإلقاء الضوء على المناطق المظلمة. ولا يثير ذلك شيئا من الدهشة، عندما نعلم مدى تأثير الفكر الخفي على الفلاسفة اليونانيين القدامى، وعلى أساساته قامت نظريات العلم الحديث. وإن القبول المبدأ الأول من المبادئ الخفية(العقلانية) هو نقطة الخلاف الكبرى بين العلم الحديث وطلاب العلم السري، وينتقل العلم بشكل تدريجي نحو الموقف السري في بحثه في الظلام للبعد عن المشكلة التي وقف متعجبا أمامها في بحثه عن الحقيقة.

إن من أغراض هذا الدرس هو أن نطبع في ذهن الطلاب حقيقة أن الكون وقوانينه وظواهره وكذلك الإنسان مجرد واقع، لأنهم يخضعون لافتراضات المادية. ويتغير المظهر الخارجي للكون تحت أي افتراضات، ومن ثم فهو خال من الوجود الجوهري والواقعية. ولكن (لاحظ الأقطاب الأخرى للحقيقة) تحت نفس الافتراضات، فنحن مجبرون على العمل والعيش كما لو أن الأشياء الزائلة واقعية وجوهرية. ومع هذا الاختلاف، بين الافتراضات المختلفة، أنه تحت الآراء القديمة تم تجاهل القوة العقلية كقوة طبيعية، بينما تحت العقلانية أصبحت أعظم القوى الطبيعية. وقد غير هذا الاختلاف تغييرا كاملا للذين فهموا المبدأ وقوانينه وتطبيقه.

لذا، في النهاية، ينبغي أن يدرك الطلاب أهمية العقلانية، وأن يتعلمو لتزداد معرفتهم، وأن يستخدموا ويطبقوا القوانين الناتجة عنها. ولكن لا تترك نفسك للأهواء التي تتغلب عل أنصاف الحكماء، والتي تتسبب في إغواءهم بالمناظر الخارجية غير الحقيقية للأشياء، وتكون النتيجة أنهم يحيرون مثل من يحلم فهو يعيش في عالم الأحلام، تاركا عالم البشر من العمل والحياة، وتكون النهاية" ينكسرون أمام الصخور وتمزقهم القوى الطبيعية، بسبب حماقتهم". ولكن احذ حذو الحكيم، والذي تقول فيه نفس الرواية،" استخدم القانون مقابل القوانين؛ الأعلى مقابل الأدنى، وعن طريق فن الكيمياء حول الشيء الخسيس إلى شيء ذي قيمة، وهذا هو الانتصار." وباتباع المثال؛ لنتجنب أنصاف الحكماء(الحمقى) الذين يتجاهلون حقيقة أن:" السيادة لا تتألف من الأحلام الشاذة والرؤى والخيالات الرائعة أو الحيوية، ولكن القوى العليا مقابل القوى السفلى، والفرار من آلام المستويات السفلى بالاهتزاز في العليا". وتذكر دائما أيه الطالب أن " التحويل، وليس الإنكار الوقح، هو سلاح الحكيم". إن الاقتباس السابق من الكابليون وجدير بالطالب أن يحفظه.

نحن لا نعيش في عالم من الأحلام، ولكن نعيش في عالم نسبي ومطلق وكذلك حياتنا وأعمالنا. ولا نعمل في الكون لننكر وجوده، وإنما لنحيا، باستخدام القوانين لنرتقي من الأدنى إلى الأعلى، ونبذل ما بوسعنا تحت الظروف التي تتجدد كل يوم، ولاستمرار أفكارنا الكبرى ومثلنا العليا قدر المستطاع. ولا يعرف البشر بهذا المستوى المعنى الصحيح للحياة. وإذا كان أي أحد باستثناء المثل العليا وحدسنا يعلموننا أننا لن نصنع أخطاء وصولا للأفضل الذي نمتلكه قدر المستطاع، وإدراك الغرض الكوني في نفس الاتجاه على الرغم من الشواهد الظاهرة تشير إلى العكس. نحن جميعا على الطريق، والطريق يوصل دائما للأعلى، مع وجود مناطق متكررة للاستراحة.

اقرأ رسالة الكابليون، واحذ حذو "الحكيم"، تجنب أخطاء "أنصاف الحكماء" الذين يهلكون بسبب حماقتهم.

الفصل السابع

المطلق في كل شيء

"إن كان كل شيء في المطلق، فإن المطلق في كل شيء كذلك. من فهم هذه الحقيقة بحق، فقد أعطى معرفة عظيمة".

كثيرا ما سمع معظم الناس عبارة أن ألوهيتهم "المطلق في كل شيء" وقليلا ما شكوا في الحقيقة السرية الباطنة عن طريق هذه الكلمات التي نطق بها أصحابها دون اهتمام. إن أوسع التعبيرات استخداما هو المثل السري الذي استشهدنا به في بداية الفصل. إذ أن الكابليون يقول: " من فهم هذه الحقيقة بحق، فقد أعطى معرفة عظيمة ". وإذا كان الأمر كذلك، فهيا بنا نطلب هذه الحقيقة، فإن فهمها يعني الكثير. ولقد أخفيت في هذه العبارة من الحقيقية، هذا المثل السري، واحدة من أعظم الحقائق الفلسفية والعلمية والدينية.

لقد تعرفت على المبادئ السرية حول طبيعة الكون العقلية، حقيقة أن "الكون عقلي، معقود في عقل المطلق". وكما يقول الكابليون في الجملة التي استشهدنا بها آنفا: " كل شيء في المطلق ". ولكن لاحظ ايضا العبارة المصاحبة لها، أن" ويساويها أن المطلق في كل شيء". ويمكن ترجيح هذه العبارة التي يبدو عليها التناقض تحت قانون التناقض. بل إنها أحد العبارات السرية للعلاقات القائمة بين المطلق وكونه العقلي. ولقد رأينا كيف أن" كل شيء في المطلق"، ولنرى الآن الجانب الآخر من القضية.

تقول التعاليم السرية أن المطلق يقع (يظل، ملازم، ثابت) في كونه، وأنه موجود في كل جزء أو ذرة أو وحدة أو مجموعة في هذا الكون. ويوضح المعلمين هذه العبارة بالرجوع إلى مبدأ التواصل. ويوجه المعلم الطالب

ليشكل عنده صورة عقلية لشيء أو شخص أو فكرة ما، وأوضح مثال لذلك هو المؤلف أو الكاتب المسرحي، فإنه يمثل فكرة شخصياته، أو الرسام أو النحات فإنه يمثل صورة المثال الذي يرغب في تقديمه بفنه. وفي كل حالة سيجد الطالب أن بينما كان الوجود والتصور في عقله فقط، الآن لازم الطالب أو المؤلف أو الكاتب المسرحي أو الرسام أو النحات الصورة العقلية أيضا. وبعبارة أخرى، إن فضيلة وحياة وروح الحقيقة في الصورة العقلية مستمدة من" العقل الباطن" للمفكر. تأمل ذلك للحظة، حتى تفهم الفكرة.

ولنأخذ مثالا حديثا، لنقل أن أوثيللو وهاملت والملك لير وريتشارد الثالث، وجدت في عقل شكسبير فقط، في الوقت الذي وجدو فيه. والآن ظهر شكسبير أيضا من خلال كل شخصية من هذه الشخصيات، مانحا إياهم الروح والحياة والعمل. ومن هو الروح في الشخصيات ميكاوبر وأليفرتويست وأوريا هيب، هل هي تشارلز ديكينز أم أن كل شخصية من هذه الشخصيات لها روحها الخاصة، مستقلة عن من أنشأها؟ وهل تمتلك فينوس ميديسي وسيستاين مادونا وأبولو بيليفيدر أرواحها وحقيقتها، أم أنها تمثل القوة العقلية والروحية لمؤلفيها؟ يوضح قانون التناقض أن كلا القضيتين صحيح، إذا نظرنا إليهما بوجهات النظر الملائمة. إن ميكاوبر هي ميكاوبر وديكنز. ومرة أخرى، بينما ميكاوبير يمكن أن يقال أنه ديكنز، فإن ديكنز ليس متطابقا مع ميكاوبر. يمكن أن يصرخ رجل مثل ميكاوبر قائلا:" إن روح من أوجدني ملازمة لي، وأنا لست هو". وكم ذلك مختلف عن أنصاف الحكماء المثيرين للاشمئزاز الذين أعلنوا بصخب عن طريق بعض أنصاف الحكماء، والذين يصرخ أحدهم بأعلى صوته:" أنا إله"! تخيل ميكاوبر الفقير أو أوريا هيب المحتال وهو يصرخ:" أنا ديكينز". أو أحد الحمقى في إحدى مسرحيات شكسبير يقول بفصاحة:" أنا شكسبير". إن المطلق في دودة الأرض، وفي نفس الوقت ليست دودة الأرض هي المطلق. وتبقى الأعجوبة أن مع أن دودة الأرض تبدو شيئا حقيرا، إلا إنها خلقت وجاءت إلى الوجود من عقل المطلق؛ إذا فإن المطلق ملازم لدودة الأرض، كما أنه ملازم للذرات التي تكون دودة الأرض. وهل يوجد سرية أعظم من " كل شيء في المطلق"؛ " والمطلق في كل شيء"؟

بالطبع سيدرك الطالب أن التوضيحات الواردة بالأعلى غير تامة أو غير ملائمة بالضرورة، لأنها تمثل التصورات العقلية في العقول المحدودة، بينما الكون هو خلق العقل المطلق، وأن الاختلاف بين القطبين يفصل بينهما. والآن يبدو الأمر على أنه مجرد درجة، نفس المبدأ يؤدي وظيفته، يظهر مبدأ التواصل في كل درجة،" كما في الأعلى، كذلك في الأسفل؛ كما في الأسفل، كذلك في الأعلى".

وفي الدرجة التي يدرك فيها المرء وجود الروح القائمة في ذاته، فإنه سيرتقي في الميزان الروحي للحياة. وهذا هو المقصود بالنمو الروحي، وهو التسليم وإدراك وتجل الروح بداخلنا. حاول أن تتذكر هذا التعريف الأخير، وهو النمو الروحي. إنه يشتمل على حقيقة الدين الصحيح.

هناك العديد من مستويات الوجود، والعديد من مستويات الحياة، والعديد من درجات الحياة في الكون. وجميعها يعتمد على ترق الموجودات في الميزان، ومن هذا الميزان أصغر النقاط هي أعظم شيء، وينفصل الوجود

الأعلى بألطف تقسيم من روح المطلق. ويرتق ويتقدم مع ميزان الحياة هذا، فكل شيء يتحرك. والكل على الطريق، نهايته هو المطلق. وكل تقدم يعود إلى منشأه. والكل يرتقي ويتقد بالرغم من وجود التناقض ظاهريا. وهذه هي رسالة المستنيرين.

إن التعاليم السرية حول الخلق العقلي للكون هي أنه في بداية العملية الخلقية، يطلق المطلق إرادته تجاه المخلوق ثم تبدأ عملية الخلق. ويقال أن العملية تتكون من تخفيض الاهتزاز حتى الوصول إلى أدنى درجة من الطاقة الاهتزازية، وفي هذه الدرجة يظهر أكبر جزء ممكن من المادة. وتسمى هذه العملية بمرحلة الانطواء، وفي هذه المرحلة ينطوي المطلق على خلقه. ويعتقد علماء السر أن هذه العملية تمتلك التطابق مع العملية العقلية عند الفنان أو الكاتب أو المخترع، الذي يكون منطويا على عمله لدرجة أنه ينسى وجوده، والذي يعيش بسبب الوقت في عمله غالبا، وبدلا من كلمة "منطويا" يمكننا أن نستخدم كلمة" مستغرقا"، فربما توضح المعنى المقصود بشكل أفضل.

وأحيانا ما تسمه هذه المرحلة التلقائية" بتدفق" القدرة الإلهية، كما تسمى حالة النشوء "بالاختلاق". ويعتبر القطب الأخير في العملية الخلقية هو القطب الأبعد المنزوع من المطلق، بينما بداية المرحلة النشوئية تعد بداية الحركة العائدة لبندول التناغم، ولا تخلو أي من التعاليم السرية من فكرة " العودة للمنشأ".

تقول التعاليم أنه أثناء "التدفق" يصبح الاهتزاز منخفضا حتى يتوقف في النهاية، ثم تبدأ الحركة العائدة. ولكن هناك هذا الاختلاف، وهو أنه أثناء التدفق تظهر القوى الخلاقة متكتلة كوحدة كاملة، ومن بداية المرحلة الانطوائية يظهر قانون الاستقلال، وهو أن ينفصل إلى وحدات من القوة، وهذا هو ما يدع المطلق قوة مستقلة تعود إلى مصدرها كوحدات من الحياة تطورت تطورا هائلا بكمية لا تحصى، قد ارتقت للأعلى في الميزان عن طريق النمو الطبيعي والعقلي والروحي.

ولقد استخدم علماء السر القدامى كلمة "تأمل" في وصف عملية الخلق العقلي للكون في عقل المطلق، وقد كانت كلمة " تفكر" تستخدم بكثرة. ولكن الفكرة المرادة هي توظيف العناية الإلهية. وتأتي

إن التعاليم السرية حول النمو تقول أن المطلق، بعد التأمل في بداية الخلق، قد وضع الأساس المادي للكون، وقد خرج الكون للوجود، ثم استفاق تدريجيا من التأمل، ثم بدأت بعد ذلك عملية النمو في الظهور، على المستوى المادي العقلي والروحي بالتعاقب وبالترتيب. ومن ثم بدأ الانتقال للأعلى، وبدأ الجميع في الارتقاء الروحي. وأصبحت المادة أقل، وخرجت الوحدات للوجود، والتكوين بدأ في التشكيل، وظهرت الحياة في أشكال أعلى وأعلى، وأصبح العقل دليلا أكثر وأكثر، وأصبح الاهتزاز أعلى باستمرار. وباختصار، بدأت عملية النمو كاملة وتفوقت طبقا لقوانين عملية الاختلاق الثابتة. ويشغل كل هذه فترات وفترات من حياة الإنسان، وتحتوي كل فترة ملايين وملايين من السنوات، ولكن يخبرنا المستنيرون أن الخلق كاملا، بما في ذلك الانطواء والنمو، لكون ما، ما هو إلا طرفة عين بالنسبة للمطلق. وفي نهاية دورات الفترات التي لا تحصى من الحياة، يسترد

المطلق عنايته وتأمله وتفكره في الكون، لأن العمل العظيم قد انتهى، والكل قد عاد إلى المطلق الذي نشأ منه ابتداء. ولكن سرية السريات تقول أن روح كل نفس لا تبيد وإنما تتوسع بشكل غير محدود، ثم يندمج الخالق والمخلوق. وهكذا يقول تقرير المستنيرين.

إن هذا التوضيح للتأمل وبعده " الاستفاقة من التأمل "و ما هي إلا محاولة من المعلمين لوصف العملية المطلقة بمثال محدود. إذا،" كما في الأسفل كذلك في الأعلى". فالاختلاف إذا في الدرجة. وكذلك كما يستفيق المطلق من التأمل في الكون، كذلك يفعل الإنسان، يقطع التجلي من المستوى المادي، ويسترد ذاته في الروح القائمة أكثر وأكثر، التي هي حقا " الذات الإلهية".

هناك أمر واحد نود التحدث عنه في هذا الدرس، ويأتي ذلك قريبا جدا من انتهاك لمجال ما وراء الطبيعة للتفكر، مع أن هدفنا هو مجرد إيضاح أنه لا جدوى من ذلك التفكر. نحن نلمح إلى السؤال الذي حتما سيأتي على أذهان جميع المفكرين الذين خاطرو في طلب الحقيقة. والسؤال هو: " لماذا خلق المطلق الكون". ويمكن أن يسأل السؤال بطرق مختلفة، ولكن السابق هو لب الاستفسار.

لقد حاول الإنسان جاهدا أن يجيب على هذا السؤال، ولكن لا يوجد إجابة شافية إلى الآن. وقد تصور البعض أن المطلق خلقه ليحصل على شيء ما، ولكن هذا لا يعقل، لأنه ماذا سيجني المطلق من شيء لا يملكه؟ وقد ظن البعض أن الإجابة هي أن المطلق " تمنى شيئا يحبه" وقال آخرون أنه خلقه ليستأنس به أو للتسلية، أو لأنه كان وحيدا، أو ليظهر قوته، وتعود كل هذه التفسيرات والأفكار الصبيانية إلى فترة التفكير الصبياني.

وقد فسر البعض هذا الغموض بافتراض أن المطلق وجد نفسه مجبرا على الخلق، بسبب " طبيعته الداخلية " الخاصة، وبسبب "غريزته الخلاقة". وهذه الفكرة متقدمة عن الآخرين، ولكن يكمن ضعفها في أن المطلق قد أجبره شيء داخلي أو خارجي. فإذا كانت طبيعته الداخلية أو غريزته الخلاقة قد أجبرته على فعل أي شيء، فإن طبيعته الداخلية أو غريزته الخلاقة هي الأجدر أن تكون المطلق وليس المطلق، وبالتالي يسقط شيء من القضية. إذا يخلق المطلق ويظهر، ويجد شيئا من الإشباع عند فعل ذلك. ومن الصعوبة بمكان أن تتسلخ من نتيجة أنه في درجة مطلقة يجب أن يكون لديه ما متفق مع طبيعة داخلية أو غريزة خلاقة في الإنسان، تزامن مع رغبة وإرادة مطلقة. إنه لن يعمل إلا إذا كان راغبا في الفعل، ولن يكون راغبا في الفعل إلا إذا كان حصل على بعض الإشباع بهذه الطريقة. وكل هذه الأشياء يرجع إلى طبيعة داخلية، ويمكن أن يسلم بوجوده طبقا لقانون التواصل. ولكننا نفضل الاعتقاد أن المطلق يعمل بكامل الحرية دون أي تأثير سواء داخلي أو خارجي. هذه المشكلة التي تقع في جذر الصعوبة وهذه هي الصعوبة التي تقع في جذر المشكلة.

وعلى وجه من الدقة، لا يمكن أن يقال أنه يوجد أي سبب للمطلق أن يعمل، لأن السبب يستوجب علة، والمطلق فوق السبب والنتيجة، إلا عندما يريد أن يكون سببا وعندئذ يدخل المبدأ حيز الهراء. لذا تجد الأمر غير معقول، فقط لأن المطلق غير معروف، فقط كما نقول أن المطلق يكون، لذا فنحن مجبرون أن نقول أن

"المطلق يفعل لأنه يفعل". وفي النهاية، إن المطلق كل عقل في ذاته، كل قانون في ذاته، كل فعل في ذاته، ويمكن القول بمنتهى الثقة أن المطلق هو عقله الخاص، وقانونه الخاص، وفعله الخاص، أو أن المطلق وعقله وقانونه وفعله واحد، كلها مسميات لنفس الشيء. وفي رأي من يعرضون لك هذه الدروس، إن الإجابة محبوسة في النفس الداخلية للمطلق، مع وجوده السري. ويصل قانون التواصل في نظرنا إلى جانب المطلق فقط، والذي يمكن الحديث عنه "كجانب الوجود". ووراء هذا الجانب يوجد "جانب الإيجاد"، الي ضاعت فيه كل القوانين في القانون، واندمجت كل المبادئ في المبدأ، والمطلق والمبدأ والوجود كلهم واحد. ومن ثم فإن التفكر الماورائي لا طائل منه في هذه النقطة. ونحن نفحص الأمر هنا، فقط لنبين أننا نعرف السؤال، ولنبين كذلك سخف إجابات الماورائيين والإلهيين.

وفي الختام، من المفيد أن يتعلم الطلاب أنه عندما انحدر بعض معلمي السر القدامى والمعاصرين إلى تطبيق مبدأ التواصل على السؤال، مع نتيجة الطبيعة الداخلية، تبقى الأسطورة عندما سئل هرمس العظيم هذا السؤال من طلابه النجباء، كانت الإجابة أن أغلق شفتيه ولم يتفوه بكلمة، مبينا أنه لا يوجد إجابة. ولكن يمكن القول أنه أراد يطبق قاعدته الفلسفية أنه " إن أفواه الحكمة مغلقة إلا للآذان الفهم" معتقدا أنه حتى طلابه النجباء لا يملكون الفهم الذي يؤهلهم للتعليم. وعلى أية حال، إذا كان هرمس يملك السر، فإنه أخفق في نقله، وأدرك العالم أن هرمس لم يتحدث عنه. وكان هرمس العظيم مترددا أن يتكلم، من يجرؤ على التعليم؟

ولكن تذكر، أيا كانت إجابة السؤال، إذا كان هناك إجابة، تبقى الحقيقة: "بينما كل شيء في المطلق، فإن المطلق في كل شيء كذلك". إن التعاليم في هذه النقطة مؤكدة. ويمكننا إضافة الكلمات الجامعة من الكلمات المقتبسة: " من فهم هذه الحقيقة بحق، فقد أعطى معرفة عظيمة ".

الفصل الثامن

مستويات التواصل

" ما في الأعلى في الأسفل، وما في الأسفل في الأعلى". الكيباليون.

يجسد المبدأ الثاني من المبادئ السرية حقيقة الانسجام والتوافق والتطابق بين المستويات المختلفة من التجلي والحياة والوجود. وهذه حقيقة لأن كل ما يحتويه الكون ينبثق من نفس المصدر ومن نفس القوانين والمبادئ والخصائص التي تنطبق على كل وحدة أو مجموعة من الوحدات أو النشاط، لأن كل يظهر ظواهره الخاصة على المستوى الخاص.

ومن أجل الهدف من توافق الفكر والدراسة، تعتقد الفلسفة السرية أن الكون يمكن أن يقسم إلى طبقات كبيرة من الظواهر تعرف بالمستويات الكبرى الثلاث، وهي كالتالي:

١ . المستوى الطبيعي الكبير.

٢ . المستوى العقلي الكبير.

٣ . المستوى الروحي الكبير.

وتعتبر هذه الأقسام الثلاثة اصطناعية واصطلاحية بشكل أو بآخر، لأن الحقيقة هي أن كل هذه الأقسام الثلاثة ما هي إلا درجات تصاعدية في ميزان الحياة العظيم، الذي أدنى نقطة فيه هي المادة الثابتة و أعلى نقطة فيه هي الروح، وما هو أكثر من ذلك أن تلك المستويات المختلفة تسري في بعضها البعض، ولذا ليس ثمة صعوبة أو سرعة في التقسيم يمكن إحداثه بين أعلى ظواهر الطبيعة وأدنى ظواهر العقل؛ أو بين أعلى ظواهر العقل وأدنى ظواهر الطبيعة.

باختصار شديد، يمكننا اعتبار هذه المستويات الثلاثة الكبرى أنها مجموعات من درجات تجلي الحياة، ولكن الغرض من هذا الكتاب المتواضع لا يسمح لنا بالخوض في مناقشة أو تفسير هذه المستويات الثلاثة ولازلنا نظن أنه من الأفضل أن نعطي وصفا عاما في هذه النقطة.

وفي البداية يمكننا توقع السؤال الذي يجول غالبا في ذهن المبتدئين الذين يرغبون في معرفة معنى كلمة "المستوى"، ولقد استخدم هذا المصطلح دون قيد كما فسر على نحو غير كاف في كثير من الأعمال المعاصرة في موضوع السرية. ويدور السؤال عموما حول الآتي: "هل المستوى مكان له حدود أم أنه مجرد ظرف أو حالة؟ " والإجابة: "لا، ليس مكانا ولا حدود من المساحة، وهو كذلك أكثر من كونه حالة أو ظرف بعينه. ويمكن اعتباره أنه حالة أو ظرف، وكذلك فإن الحالة أو الظرف هي أحد درجات الحجم، في ميزان يخضع

للقياس." هل الأمر متناقض بعض الشيء، أليس كذلك؟ ولكن لنكتشف الأمر. كما تعلمون، يعتبر " الحجم" قياسا في خط مستقيم يتعلق بالقياس"، إلخ. ويعتبر الطول والعرض والارتفاع، أو ربما الطول والعرض والارتفاع والسمك والمحيط هي الأبعاد الطبيعية للمساحة. ولكن هناك بعد آخر للأشياء المخلوقة أو القياس في الخط المستقيم، يعرفه علماء السر والعلميون، وإن كان العلميون لم يطبقوا هذا المصطلح عليها، وهذا البعد الجديد الذي يتأمله الكثير، ما زلت أتحدث حول البعد الرابع، هو المقياس المستخدم في تحديد الدرجات أو "المستويات".

وهذا البعد الرابع يمكن تسميته "ببعد الاهتزاز". وهذه الحقيقة يعرفها العلم الحديث كما علمها العلماء السريون الذين جسدوها في "المبدأ السري الثالث"، وهو أن "كل شيء حركة دائمة، كل شيء يهتز، لا شيء يسكن." فمن الظهور الأعلى إلى الظهور الأدنى كل شيء يهتز. ولا تهتز في معدلات مختلفة فحسب، بل تهتز في اتجاهات مختلفة وفي حالات مختلفة. وتشكل درجات معدل الاهتزاز درجات قياس أو ميزان الاهتزاز، أو درجات البعد الرابع بعبارة أخرى. وهذه الدرجات التي يسميها علماء السر " بالمستويات" هي الدرجة العليا من معدل الاهتزاز، والمستوى الأعلى، والظهور الأعلى للحياة التي تشغل هذا المستوى. لذاو فإذا كان المستوى ليس مكانا ولا حالة أو ظرفا، إذا فهو يمتلك خصائص مشتركة بينهما. وسوف نتحدث باستفاضة عن ميزان الاهتزاز في الدروس التالية التي سنعرض فيها لمبدأ الاهتزاز عند هرمس.

وأرجو أن تتذكر أن المستويات الثلاثة الكبرى ليست تقسيما حقيقيا لظواهر الكون، ولكنها محض مصطلحات اصطناعية وضعها علماء السر فقط لتسهيل عملية فهم ودراسة الدرجات والأشكال المختلفة من النشاط الكوني والحياة. فالمادة والقوة وعقل الإنسان ووجود كبير الملائكة ما هم إلا درجات في ميزان واحد، وجميعهم شيء واحد في الأساس، ولكن الاختلاف بينهم يكون في مسألة الدرجة ومعدل الاهتزاز، وجميعهم من صنع المطلق، وقد خرج كل منهم للوجود من خلال العقل المطلق للمطلق.

ولقد قسم علماء السر كلا من هذه المبادئ الثلاثة الكبرى إلى سبعة مستويات صغرى، وقسموا أيضا كلا من هذه المستويات السبعة إلى سبعة مستويات أخرى، وكل هذه التقسيمات اصطلاحية وتسري في بعضها البعض، وتم اتخاذها فقط لمطابقة الدراسة والفهم العلمي.

والمستوى الطبيعي الأكبر ومستوياته السبعة الصغرى والذي يعتبر تقسيم ظواهر الكون التي تشتمل على كل ما يتعلق بالأشياء الطبيعية أو المادية والقوى والتجليات. وهو يشتمل على كل ما نسميه بالمادة والقدرة أو القوة. ولكن يجب عليك أن تتذكر أن الفلسفة السرية لا تعترف بالمادة كشيء في ذاته، أو أن لديها وجود منفصل في عقل المطلق، فتقول التعاليم أن المادة ما هي إلا شكل من أشكال الطاقة التي هي في أدنى معدلات الاهتزاز من نوع معين. وعليه فإن علماء السر يقسمون المادة تبعا للطاقة، ويعطونها ثلاثة من المستويات السبعة الصغرى من المستوى الطبيعي الأكبر.

وتتلخص المستويات السبعة الطبيعية الصغرى فيما يلي:

١ . مستوى المادة(أ)

٢ . مستوى المادة(ب)

٣ . مستوى المادة(ج)

٤ . مستوى المادة الأثيرية

٥ . مستوى الطاقة (أ)

٦ . مستوى الطاقة (ب)

٧ . مستوى الطاقة (ج)

ويتضمن مستوى المادة (أ) أشكال المادة التي من أشكالها الأجسام الصلبة والسوائل والغازات والمعروفة من كتب الطبيعيين. ويتضمن مستوى المادة (ب) أشكالا محددة ودقيقة من أشكال مادة الوجود التي من خلالها يتعرف العلم الحديث ظواهر المادة المتقدة، في أشكالها المشعة، إلخ، بانتمائها إلى القسم الأدنى من هذا المستوى الأصغر. ويتضمن مستوى المادة (ج) أشكالا من أكثر المواد دقة وتحديدا، والتي لم يتعرف على وجودها العلماء العاديون. ويتضمن مستوى المادة الأثيرية ما يسميه العلم "بالأثير"، مادة الرقة والليونة، التي تعم جميع مساحات الكون، والذي يعمل كوسيط لنقل موجات الطاقة، مثل الضوء والحرارة والكهرباء، إلخ. وتعد هذه المادة الأثيرية بمثابة حلقة الوصل بين ما يسمى بالمادة والطاقة، وهي القاسم المشترك في طبيعة كليهما. وتقول التعاليم السرية أن هذا المستوى لديه سبعة أقسام، وهناك سبعة أشكال من الأثير بدلا من واحد.

ويأتي بعد ذلك مستوى الطاقة (أ) والذي يتضمن الأشكال العادية من الطاقة التي يعرفها العلم، وتأتي مستوياته السبع الصغرى بالترتيب التالي، الحرارة والضوء والمغنطة والكهرباء والجاذبية (بما في ذلك الجاذبية الأرضية والتماسك والألفة الكيميائية، إلخ.) وغيرها من أشكال الطاقة الأخرى التي أثبتتها التجارب العلمية ولكنها لم تسمها أو تصنفها بعد. ويتضمن مستوى الطاقة (ب) سبعة مستويات ثانوية من الأشكال العليا من الطاقة لم يكتشفها العلم إلى الآن، ولكنها سميت بـ " طبيعة القوى الناعمة" والتي دخلت حيز العمل في تجليات بعض أشكال الظواهر العقلية، والذي أيضا من خلاله أصبحت هذه الظواهر محتملة. ويتضمن مستوى الطاقة (ج) سبعة من مستويات الطاقة الثانوية المرتبة بدقة عالية والتي تحمل العديد من خصائص "الحياة،" ولكن لم يعرفها العقل البشري على المستوى الطبيعي للتطور، فكونها متاحة للاستخدام على وجود المستوى الروحي بمفرده، فهذه الطاقة لا تزال غير معقولة بالنسبة للإنسان العادي، وغالبا ما تكون أو ما تسمى بـ "القوة الإلهية". والكائنات التي تستخدم نفس الطاقة مثل الآلهة تقارن حتى بأسمى أنواع البشر المعروفة لدينا.

يتضمن المستوى العقلي الأكبر تلك الأشكال من الأشياء الحية التي نعرفها في حياتنا اليومية، وكذلك بعض الأشكال التي لا يعرفها سوى علماء السر. وهذا التصنيف للمستويات السبع الصغرى ما هو إلا تصنيف اصطناعي (إلا إذا كان مصحوبا بشروحات مفصلة غريبة عن الهدف من هذا العمل)، ولكن بإمكاننا أن نذكرهم. وهم كالتالي:

١ . مستوى العقل المعدني

٢ . مستوى العقل العنصري (أ)

٣ . مستوى العقل النباتي

٤ . مستوى العقل العنصري (ب)

٥ . مستوى العقل الحيواني

٦ . مستوى العقل العنصري (ج)

٧ . مستوى العقل البشري

يتضمن مستوى العقل المعدني "حالات أو ظروف" الوحدات أو الكيانات أو المجموعات والمركبات من نفس النوع، والذي ينشط الأشكال المعروفة عندا بالمعادن، والمواد الكيميائية، إلخ. ويجب أن لا تحير هذه الوحدات مع الجزيئات والذرات والأجسام ذاتها، وتعد الأخيرة هي الأجسام المادية أو أشكال هذه الوحدات، فقط مثل جسد الإنسان ما هو إلا شكله المادي وليس الإنسان نفسه. ويمكن تسمية هذه الوحدات ب "الأرواح" قولا واحدا، وهي أشياء حية من قانون مستو التطور، والحياة، والعقل، صغيرا أكثر من وحدات "الطاقة النشطة" التي تتضمن أقساما ثانوية من المستوى الطبيعي الأعلى. ولا ينسب العقل السوي امتلاك العقل أو الروح أو الحياة لعالم الجماد، ولكن يقر كل علماء السر بوجود نفس الأمر، كما ينتقل العلم الحديث بسرعة نحو وجهة النظر السرية في هذا المنظور. وتمتلك الجزيئات والذرات والأجسام "الحب والبغض" والتفضيل والتجنب" "والجاذبية والنفرة" "والألفة والفرقة"، إلخ، وقد عبرت بعض العقول العلمية الحديثة بجرأة أن الرغبة والإرادة والعواطف والمشاعر في الذرة تختلف في الدرجة فقط عن تلك الموجودة في البشر. وليس لدينا وقت لدحض هذه الحجة هنا. ويعلم كل علماء السر أنها حقيقة، بينما رجع البعض إلى بعض الأعمال العلمية الأكثر حداثة للتعاون الخارجي. وهناك الأقسام السبعة الثانوية لهذا المستوى.

يتضمن مستوى العقل العنصري حالة أو ظرف ودرجة التطور العقلي والحيوي لمجموعة من الوحدات التي لا يعرفها الإنسان العادي، ولكن يعرفها علماء السر، وتعد تلك الوحدات غير مرئية بالنسبة لحواس الإنسان العادية ولكنها تلعب دورها الدرامي في الكون. وتقع درجة فطنتها بين فطنة الوحدات المعدنية أو الكيميائية من ناحية، وفطنة وحدات عالم الجماد من ناحية أخرى. وهناك سبعة أقسام ثانوية لهذا المستوى أيضا.

يتضمن مستوى العقل النباتي، في أقسامه الثانوية السبعة، حالات أو ظروف الوحدات التي تكون عوالم عالم النباتات، وتفهم هذه الظواهر الحيوية والعقلية بسهولة لدى الإنسان العادي، ولقد نشر العديد من الأعمال العلمية الجديدة والشيقة حول "العقل والحياة في النباتات" في العقد الأخير. فالنباتات تمتلك الحياة والعقل والأرواح مثلها مثل الحيوانات الإنسان والإنسان الخارق.

ويتضمن العقل العنصري (ب)، في أقسامه الثانوية السبعة، حالات وظروف لها شكلا عاليا من الوحدات العنصرية أو الخفية، وتلعب دورها في العمل العام من الكون، ويشكل عقل الحياة فيها جزءا من التوازن بين مستوى العقل النباتي ومستوى العقل الحيواني، وتشارك الوحدات في طبيعة كليهما.

ويتضمن مستوى العقل الحيواني، في أقسامه الثانوية السبعة، حالات وظروف الوحدات والموجودات والأرواح منشطة الأشكال الحيوانات في الحياة، المعروفة لدينا جميعا. ولا داعي للخوض في التفاصيل حول عالم أو مستوى الحياة، لأن العالم الحيواني مألوف لدينا وهو أيضا عالمنا الخاص.

يتضمن مستوى العقل العنصري (ج)، بجميع أقسامه الثانوية السبعة، هذه الوحدات أو الموجودات، الخفية مثلها مثل الأشكال العنصرية، التي تشترك في طبيعة الحياة الحيوانية أو البشرية في درجة وتركيب معين. والأشكال العليا أنصاف بشرية في الذكاء.

يتضمن مستوى العقل البشر، بأقسامه الثانوية السبعة، تجليات الحياة والعقلية التي تعد مشتركة عند البشر، في مراحله ودرجاته وأقسامه المختلفة. وفي هذا السياق، نود أن ننوه على أن الإنسان العادي المعاصر يحتل القسم الثانوي الرابع من مستوى العقل البشري، والقلة الذكية فقط هي التي تخطت حدود القسم الثانوي الخامس. ولقد سابق ملايين السنين ليصل لهذه المرحلة، وسيأخذ سنوات أخرى عديدة من السباق ليصل إلى القسم الثانوي السادس والسابع، وغيره. ولكن، تذكر أن هناك أجناسا قبلنا قد عبروا من خلال هذه المرحلة، ومنها إلى المستويات العليا. وجنسنا الخاص هو الخامس (مع معاناة مع الرابع) الذي وطأ هذا الطريق. وهناك عدد قليل من الأرواح المتقدمة من جنسنا قد برزوا على عموم الجنس، وقد عبروا إلى المستوى الثانوي السادس والسابع، والقلة لا تزال مستمرة. وسيصبح رجل المستوى الثانوي السادس هو "الرجل الخارق"؛ والذي سيكون "الرجل النهائي" عندما يصل إلى المستوى السابع.

ولقد عرجنا على المستويات الأولية الثلاثة بطريق عامة عند دراسة المستويات العقلية السبعة الصغرى. وليس لدينا رغبة في الخوض في تفاصل هذا الموضوع في هذا العمل، لأنها لا تنتمي لهذا الجزء من الفلسفة والتعاليم العامة. ولكن ربما نذكر ذلك كثيرا لنعطيكم فكرة أكثر وضوحا، من علاقات هذه المستويات الى أكثرها شيوعا، كما يحمل المستويات الأولية نفس العلاقات عند العقلية والحياة المعدنية والنباتية والحيوانية والبشرية، كفعل المفاتيح السوداء للمفاتيح البيضاء في البيانو. فالمفاتيح البيضاء كافية لإصدار الموسيقى، ولكن هناك موازين معينة وألحان وإيقاعات، تلعب فيها المفاتيح البيضاء دورها ويكون وجودها ضروريا. وهي

كذلك ضرورية " كحلقات وصل" للظروف الروحية، وحالات الوحدات، إلخ، وبين المستويات العديدة الأخرى يمكن الحصول على أشكال معينة من التطور من خلالها، وهذه الحقيقة الأخيرة يمكن للقارئ الذي يقرأ ما بين السطور كضوء جديد على طرق التطور، وكمفتاح جديد للباب السري " لقفزات الحياة" بين العالم والعالم. ولقد عرف كل علماء السر العوالم الكبرى للكائنات، والكتابات السرية مليئة بها. وسيعرف من يقرأ حكاية بلوير " سانوني" وغيرها من الحكايات المشابهة الكائنات التي تقطن هذه المستويات من الحياة.

وماذا عسانا أن نقول بالانتقال من المستوى العقلي الأعظم إلى المستوى الروحي الأعظم؟ كيف نشرح هذه الحالات العليا من الوجود والحياة والعقل لعقول لم تدرك ولم تفهم بعد المستويات الثانوية العليا من مستوى العقل البشري؟ فالمهمة مستحيلة. ويمكننا التحدث في المصطلحات العامة فقط. فكيف نصف الضياء للرجل الأعمى وكيف نصف الحلاوة للرجل الذي لم يذق شيئا حلوا من قبل، وكيف نصف الأنغام للرجل الأصم؟

كل ما نستطيع قوله هو أن المستويات السبع الصغرى للمستوى الروحي الأعظم تتضمن الكائنات الحية والعاقلة وتشكل كما أشرنا من قبل ما يملكه الإنسان المعاصر، لأن الأخير فوق دودة الأرض، والمعدن وحتى بعض الأشكال من الطاقة أو المادة. وتفوق حياة هذه الكائنات حياتنا، لأننا لا نستطيع حتى أن نفكر في التفاصيل بنفس الشكل، كما تفوق عقولهم عقولنا، حيث أننا نادرا ما نفكر، وتبدو طرقنا العقلية غالبا مماثلة للطرق المادية، وتتكون المادة التي تشكلهم من المستويات العليا للمادة، بل إن البعض يقول أنهم "ألبسوا طاقة صافية." وما يمكن أن يقال عن هذه الكائنات؟

تظهر كائنات على المستويات السبعة الصغرى من المستويات الروحية الكبرى يمكننا أن نقول أن منها الملائكة وكبير الملائكة وأنصاف الآلهة. وفي أدنى المستويات الصغرى تقطن الأرواح الكبرى التي نسميها بالأسياد والخبراء. ويأتي فوقهم التراتب الهرمي لجماهير الملائكة التي لا يمكن للإنسان أن يعقلها، ويأتي فوقهم أولئك الذي نسميهم بكل توقير "الآلهة"، وكذلك في الأعلى في ميزان الوجود هم ووجودهم وذكاؤهم وقوتهم مماثلة للتي نسبها أجناس البشر لألهتهم. وهذه الكائنات أعلى من التخيلات التي تدور في خلجات البشر، فكلمة "إلهي" تعني أنه الوحيد الملائم عندهم. وتأخذ هذه الكائنات وكذلك الملائكة الأهمية الكبرى في شئون الكون كما تلعب دورا مهما في شئونه. وتمد هذه الآلهة الخفية والملائكة المساعدة بكل حرية وقوة، في طريقة التطوير، وفي الطريقة الكونية. ولقد أدى تدخلهم ومساعدتهم في شئون البشر إلى العديد من الأساطير والمعتقدات والأديان وروايات الجنس في الماضي والحاضر. ولقد وضعوا معرفتهم وقوتهم فوق العالم، ونكرر الكل يخضع لقانون المطلق طبعا.

لكن يظهر هذه الكائنات المتقدمة كخلق من عقل المطلق، كما أنها تخضع للطرق والقواعد الكونية. ولا يزالون بشرا. ويمكننا تسميتهم بالآلهة إذا أردنا، ولكنهم هم الإخوة الأكبر في الجنس، إنهم الأناس المتقدمين الذين فاقوا إخوانهم، والذين امتنعوا عن انجذاب الاستغراق عن طريق المطلق لكي يساعدوا الجنس في مواصلة رحلته

على نفس الطريق. ولكنهم ينتمون للكون ويخضعون لظروفه، فهم بشر ومستواهم أدنى من مستوى الروح المطلقة.

ولا يستطيع أحد إدراك التعاليم السرية حول الوجود والقوى التي تظهر على المستويات الروحية إلا علماء السر المتقدمين. ويمكننا القول أن الظواهر أعلى بكثير من المستويات العقلية، ويؤدي ذلك إلى اضطراب في الأفكار ينتج عن محاولة لوصف نفس الأمر. وكذلك يمكن أن نقول أن أصحاب العقول التي تدربت على الفلسفة السرية لسنوات، نعم أولئك الذي أتوا بالمعرفة السابقة من التجسدات الأخرى فقط هم القادرون على فهم وإدراك ما تنص عليه التعاليم حول المستويات الروحية. وكثير من هذه التعاليم قد اعتبرها علماء السر مقدسة ومهمة بل وخطيرة إذا نشرت للعوام. وربما يلحظ الطلاب النجباء ما نعنيه بذلك عندما نقول أن معنى الروح كما كان يستخدمه علماء السر يماثل " القوة الحية"، "الجوهر الداخلي"،" جوهر الحياة"، إلخ، ويجب أن لا يتضارب مع هذا المعنى الذي دائما ما يستغل مع هذا المصطلح بشكل شائع، أقصد مصطلح" ديني، كنسي، روحي، سماوي، قدسي"، إلخ. وتستخدم كلمة" الروح" عند علماء السر في سياق" المبدأ المحيي"، مع فكرة القوة، الطاقة الحية، القوة الخفية، إلخ. ويعلم علماء السر أن ما يعرف عنهم "بالطاقة الروحية" يمكن أن يوظف في الشر مثل الخير تماما (طبقا لقانون الازدواجية)، والحقيقة التي أقرها معظم الأديان في نظريتهم حول الشيطان، كبير الشياطين، إبليس، الخناس، إلخ. ولقد حفظت المعرفة حول هذه المستويات في المحفل في كل المحافل السرية والجماعات السرية، في القاعات السرية من المعبد. ولكن يمكننا القول هنا أن الذين حصلوا على طاقات روحية عليا ولم يحسنوا استخدامها لهم مصير بئيس، وسيعيدهم تأرجح بندول التناغم حتما إلى أبعد حد من الوجود المادي، ومن هذه النقطة يجب عليهم أن يعيدوا خطواتهم إلى التقدم الروحي، مع الجولات المرهقة في الطريق، ولكن مع الألم الإضافي دائما مع امتلاكهم ذاكرة بطيئة من الأعالي ومن خلالها سقطوا بسبب أعمالهم السيئة. وكما يعلم كل علماء السر أن أساطير الشياطين لها أساس في الواقع. وإن الكفاح من أجل القوة الذاتية على المستويات الروحية يؤدي حتما في الأنفس الأنانية إلى خسارة توازنها الروحي والعودة ثانية بقدر ما كما كانت من قبل. ولكن حتى بالنسبة لهذه الأنفس، فإن الفرصة قد أتيحت لهم، وقد قامت مثل هذه الأنفس برحلة عودة، بدفعها الثمن كبيرا كما يقول القانون.

وفي الختام نود أن نذكركم مرة ثانية طبقا لمبدأ التواصل الذي يجسد حقيقة: "كما في الأعلى، كذلك في الأسفل. كما في الأسفل كذلك في الأعلى،" فكل القوانين السرية السبعة قيد العمل على العديد من المستويات، الطبيعية والعقلية والروحية. وبالطبع يتعامل مبدأ الجوهر العقلي مع جميع المستويات، إذ إن الجميع معقود بعقل المطلق. ويظهر مبدأ التواصل في كل شيء، لأن هناك تواصلا وتجانسا وتوافقا بين جميع المستويات. ويظهر مبدأ الاهتزاز في جميع المستويات، لأن الاختلافات التي تصنع المستويات ناشئة من الاهتزاز كما بينا. ويظهر مبدأ الازدواجية في كل مستوى، فتظهر أطراف الأقطاب متعارضة ومتناقضة. ويظهر مبدأ التناغم في كل مستوى، فتأخذ حركة الظواهر مدها وجذرها، ونهوضها ودفقها، وداخلها وخارجها. ويظهر مبدأ

السبب والنتيجة في كل مستوى، فكل سبب له نتيجة، وكل نتيجة لابد لها من سبب. ويظهر مبدأ الجنس في كل مستوى، فالطاقة الخلاقة دائما موجودة، وتعمل دوما مع أشكالها المذكرة والمؤنثة.

" كما في الأعلى كذلك في الأسفل. كما في الأسفل كذلك في الأعلى." تجسد المسلمة السرية القديمة في هذه القرون واحدا من أعظم المبادئ في الظواهر الكونية. ونواصل مع تأملنا للمبادئ المتبقية، وسنرى بشكل أكثر وضوحا حقيقة الطبيعة الكونية في هذا المبدأ العظيم، مبدأ التواصل.

الفصل التاسع

الاهتزاز

" لا شيء يستريح. كل شيء يتحرك. كل شيء يهتز." الكيباليون.

يجسد المبدأ السري الثالث العظيم، مبدأ الاهتزاز، حقيقة أن الحركة تظهر في كل شيء في الكون، وهي أنه لا شيء يستريح، كل شيء يتحرك ويهتز ويدور، ولقد عرف هذا المبدأ بعض من الفلاسفة اليونانيين القدامى وجسدوه على طريقتهم الخاصة، ولكنه ضاع بعد ذلك لعقود علي يد المفكرين من خارج الطبقة السرية. ولكن في القرن التاسع عشر أعاد العلم الفيزيائي اكتشاف الحقيقة، وفي القرن العشرين أضافت الاكتشافات العلمية أدلة إضافية على صحة وحقيقة هذه القرون، العقيدة السرية القديمة.

لا تنص التعاليم السرية على أن كل شيء في حركة دائمة واهتزاز مستمر فحسب، ولكنها تنص أيضا على أن "الاختلافات" بين التجليات المختلفة في القوة الكونية ترجع إلى اختلاف معدل وحالة الاهتزاز. ليس هذا فحسب، ولكن حتى المطلق ذاته يظهر اهتزازا دائما من مثل هذه الدرجة المطلقة من القوة والحركة السريعة التي يمكن أن تعتبر شيئا من الراحة، ويجذب المعلمون انتباه الطلاب لحقيقة أنه حتى على المستوى الطبيعي تبدو قضية الحركة بسرعة على أنها استراحة. وتقول التعاليم أن الروح في نهاية أحد أقطاب الاهتزاز، بينما القطب الثاني هو أشكالا كبيرة من المادة. وبين هذين القطبين يوجد الملايين تلو الملايين من معدلات وحالات الاهتزاز المختلفة.

ولقد أثبت العلم الحديث أن ما نسميه بالمادة والطاقة ما هو إلا "حالات من الحركة الاهتزازية،" ولقد توجه بعض العلماء الأكثر تقدما تجاه مواقف علماء السر الذين قالوا أن ظواهر العقل تشبه حالات من الاهتزاز أو الحركة. ولنرى ماذا سيقول العلم الحديث عن قضية الاهتزاز في المادة والطاقة.

في بداية الأمر، يقول العلم أن المادة تُظهر، في بعض الدرجات، الاهتزاز الناجم عن الحرارة. ولتكن باردة أو حارة، فكلا الأمرين درجات من نفس الشيء، فهي تظهر بعض الاهتزاز الحراري، وهي بهذا الشكل في حركة واهتزاز. إذا فإن كل جزيئات المادة في حركة دائرية، من كرات الدم إلى الشموس. فتدور الكواكب حول الشمس، ويدور العديد منهم في مداره. وتدور الشمس حول نقاط مركزية أكبر، كما يعتقد أن هذه المراكز تدور حول أخرى أكبر منها، وهكذا إلى مالا نهاية. إن الجزيئات التي تكون أنواعا بعينها من المادة في حالة اهتزاز دائم وحركة مستمرة حول بعضها أو عكس بعضها. وتتكون الجزيئات من ذرات هي كذلك في حالة اهتزاز دائم وحركة مستمرة. وتتكون الذرات من نوايات، يطلق عليها أحيانا "إليكترونات" أو "أيونات"، إلخ، أيضا في حالة حركة سريعة، وتدور حول بعضها، وتظهر حالة من سريعة جدا من الاهتزاز. وهكذا نرى أن جميع أشكال المادة تظهر اهتزازا، طبقا لمبدأ الاهتزاز السري.

وكذلك الأمر مع أشكال الطاقة المختلفة. يقول العلم أن الضوء والحرارة والمغنطة والكهرباء ما هي إلا أشكال من حركة اهتزازية متصلة بطريقة ما، وربما تكون منبثقة من السماء. ولم يحاول العلم إلى الآن أن يفسر طبيعة الظواهر المعروفة بالالتحام، وهي مبدأ التجاذب الجزيئي، ولا الألفة الكيميائية، وهي مبدأ التجاذب الذري، ولا الجاذبية الأرضية(أكثر الثلاثة غموضا)، والتي مبدأ الجاذبية الذي من خلاله كل ذرة أو حجم من المادة يتجه نحو الذرة أو الحجم الآخر. فلم يدرك العلم إلى الآن هذه الأشكال الثلاثة من الطاقة، ولذا يميل بعض الكتاب إلى الرأي القائل أن هذه تجليات بعض أشكال الطاقة الاهتزازية، وهذه هي الحقيقة التي عرفها علماء السر وعلموها منذ أقدم العصور.

ولقد عرف علماء السر السماء الكونية، التي يسلم بها العلم دون إدراك طبيعتها بوضوح، على أنها تجل عال لما يسمى خطأ بالمادة، وهو أن يقال، المادة في درجة عالية من الاهتزاز، وهو ما يسمونه "بالجوهر السماوي." ويقول علماء السر أن السماء الكونية تتكون من ليونة ورقة بالغة، ينتشر في الفضاء الكوني، ويعمل كوسيط في نقل موجات الطاقة الاهتزازية، مثل الحرارة والضوء والكهرباء والمغنطة، إلخ. وتقول التعاليم أن الجوهر السماوي صلة بين أشكال الطاقة الاهتزازية المعروفة "بالمادة" من جهة، والطاقة أو القوة من جهة أخرى؛ وأنها تظهر كذلك درجة من الاهتزاز تخصها بالكامل في المعدل والحالة.

ولقد قدم العلماء تفسيرا للعجلة أو الاسطوانة التي تتحرك بسرعة، ليبينوا آثار تزايد معدل الاهتزاز. وقد افترض التفسير أن العجلة أو الاسطوانة الدائرية تدور على أدنى معدل من السرعة، وسنسمي هذا الشيء الدائري "بالهدف" لنتتبع التفسير. هب أن هذا الهدف يدور ببطء. فيمكن أن نراها بسهولة ولمن لا نسمع لها صوتا. وتتزايد السرعة تدريجيا. وفي لحظات قليلة تصبح حركتها سريعة جدا لدرجة أن التمامة الخفية أو المجسدة البطيئة يمكن سماعها. ثم تتصاعد المجسدة في الميزان الموسيقي كما تصاعد المعدل. ثم تختلف المجسدة الأعلى بتصاعد الحركة أكثر. ثم تظهر مجسدات الميزان الموسيقي الواحدة تلو الأخرى بشكل أعلى وأعلى لأن الحركة تتصاعد. وفي النهاية عندما تصل الحركات إلى معدل بعينه تصل المجسدة النهائية التي يمكن

للأذن البشرية سماعها ويختفي الصوت الصاخب ثم يعم الصمت. لا يوجد صوت يخرج من الهدف الدائري، ويكون معدل الحركة عال جدا لدرجة أن الأذن الآدمية لا يمكنها تسجيل الاهتزاز. ثم تأتي بعد ذلك نظرية ارتفاع درجات الحرارة. وبعد فترة قصيرة يلمح البصر الهدف بعد أن أصبح أحمر داكنا باهت اللون. ولأن المعدل في تزايد، فإن الأحمر يزداد لمعانا. ولأن السرعة تتزايد، فإن الأحمر يتحول إلى برتقالي. ثم يتحول البرتقالي إلى أصفر. ثم تظهر ألوان الأخضر والأزرق والنيلي، وأخيرا البنفسج، لأن معدل السرعة يزداد. ثم يتلاش البنفسج بعد ذلك وتختفي كل الألوان ولا تستطيع العين تسجيل رؤيتهم. ولكن هناك بعض الأشعة غير المرئية المنبعثة من الهدف الدائري، وتستخدم هذه الأشعة وبعض الأشعة الرقيقة الأخرى في الفوتوغرافيا. ثم تبدأ الأشعة المميزة بعد ذلك والتي تعرف "بالأشعة س"، إلخ، لأن تكوين الهدف يتغير، وتنبعث الكهرباء والمغنطة عندما تحصل على المعدل المناسب من الاهتزاز.

عندما يصل الهدف إلى معدل معين من الاهتزاز تتحطم جزيئاته، وتُحل أنفسها في المكونات أو الذرات الأصلية، ثم تنشطر الذرات بعد ذلك إلى عدد لا نهائي من النوايات التي تتكون منها، طبقا لمبدأ الاهتزاز. وفي النهاية، حتى النوايات تختفي ويمكن القول أن الهدف أصبح مكونا من الجوهر السماوي. ولا يجرؤ العلم على التوضيح أكثر من ذلك، ولكن علماء السر يقولون إذا تزايد الاهتزاز باستمرار فإن الهدف سيزيد الحالات المتعاقبة والتي بدورها تظهر المراحل العقلية المختلفة، ومنها إلى التقدم الروحي، إلى أن تدخل ثانية إلى المطلق، الذي هو الروح المطلقة. ويتوقف الهدف عن كونه هدفا قبل وصول مرحلة الجوهر السماوي، ولكن على الجانب الآخر فإن التفسير صحيح لأن يبين أثر تزايد معدلات وحالات الاهتزاز باستمرار. ولكن يجب أن نتذكر أن، في التفسير السابق، أن المراحل التي عندها يطلق الهدف اهتزازات الضوء والحرارة، إلخ، فهي لم تحل في الواقع في أشكال الطاقة تلك (الأشكال الأكثر علوا في الميزان)، ولكنه يصل ببساطة إلى درجة من الاهتزاز تتحرر عنده هذه الأشكال من الطاقة، من تقييد تأثيرات جزيئاته وذراته، حسب الحالة التي فيها. وبالرغم من أن أشكال الطاقة هذه أعلى من المادة، إلا إنه مقيدة ومحبوسة في التكوينات المادية، بسبب الطاقات التي تنبعث منها واستخدام الأشكال المادية، ولكن بناء عليه تتورط وتتقيد في خلقها من الأشكال المادية، والتيهي حقيقة كل المخلوقات ، وتصبح الطاقة الخلاقة متورطة في إيجادها.

ولكن التعاليم السرية فعلت أكثر مما فعله العلم الحديث، فهي تقول أن جميع مظاهر الفكر والعاطفة والعقل والإرادة والرغبة أو أي حالة عقلية أخرى مصحوبة بالاهتزاز، ويتحرر جزء منها وهو الذي يتجه نحو عقول الآخرين ليؤثر فيها عن طريق "الاستقراء". وهذا هو المبدأ الذي ينتج ظاهرة " التخاطر"؛ والتأثير العقلي، وغيرها من أشكال الأثير وغلبة عقل على آخر، التي من خلالها يتعلم العامة بسرعة، بسبب الانتشار الواسع للمعرفة السرية عن طريق المذاهب والعبادات والمعلمين المختلفين على طول الخط في هذا الوقت.

كل فكر أو عاطفة أو حالة عقلية لها معدلها وحالتها والمطابقة للاهتزاز. فيمكن إيجاد هذه الحالات العقلية من جديد من خلال مجهود إرادة المرء أو إرادة أشخاص آخرين، مثل المجسدة الموسيقية يمكن إعادة إصدارها عن

طريق تسبب الآلة في الاهتزاز عند معدل معين، وكذلك اللون يمكن إعادة انتاجه بنفس الطريقة. فبمعرفة مبدأ الاهتزاز، يمكن للمرء أن يستقطب عقله لأي درجة يرغب فيها، ومن ثم يحصل على تحكم تام في حالاته العقلية وأمزجته، إلخ. وبنفس الطريقة يمكنه التأثير على عقول الآخرين، بإنتاج الحالات العقلية التي يرغب فيها عندهم. وباختصار، ربما يستطيع أن يوجد على المستوى العقلي ما يوجده العلم على المستوى الطبيعي، أعني " الاهتزاز عند الإرادة". نعم بالطبع يمكن الحصول هذه القوة بالتدريب والتمرين والممارسة، إلخ، والعلم بكونه تحولا عقليا، هو أحد أفرع الفنون السرية.

بالتأمل قليلا فيما ذكرنا سيوضح للطلاب أن مبدأ الاهتزاز يشكل الظواهر الخارقة للطاقة التي أظهرها الحكماء والمعلمين، القادرين على تنحية قوانين الطبيعة، ولكنهم في الواقع يستخدمون أحد القوانين عكس الآخر، أو أحد المبادئ عكس الآخر، ويتمون نتائجهم عن طريق تغيير اهتزازات الأمور المادية، أو أشكال الطاقة، ومن ثم يقومون بما يعرف ب "المعجزات".

وكما قال أحد كتاب السر القدامى: " من أدرك مبدأ الاهتزاز، فقد حصل صولجان القوة".

الازدواجية

"كل شيء مزدوج، كل شيء له أقطاب، كل شيء له زوج من الأطراف، التشابه وعدم التشابه هو الشيء نفسه، الأضداد متشابهة بطبيعتها لكن بدرجات متفاوتة، الطرفان يجتمعان، كل الحقائق ما هي إلا أنصاف حقائق، قد يمكن التوفيق بين كل المتناقضات" الكيباليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن كل شيء هو مزدوج، كل شيء له قطبين، كل شيء له زوج من التناقض، وهي كلها كانت مسلمات هرمسية قديمة. إنها توضح التناقضات القديمة التي حيّرت الكثيرين، والتي ذُكرت على النحو التالي: الأطروحة ونقيضها متماثلان بطبيعتهما، لكن متفاوتان بالدرجة، الأضداد متشابه وتختلف بدرجتها فقط، قد يمكن التوفيق بين زوج من الأضداد، الطرفان يجتمعان، كل شيء هو وليس هو في الوقت نفسه، كل الحقائق ما هي إلا أنصاف حقائق، كل حقيقة هي نصف كاذبة، هناك جانبان لكل شيء.. إلخ، إلخ.

تقول التعاليم السرية أن الاختلاف بين الأشياء المتناقضة ما هو ضرب من الدرجة. وتقو أنه "يمكن الجمع بين طرفي النقيض"، وأن الأطروحة ونقيضها متماثلان في طبيعتيهما ولكنهما متفاوتان في الدرجة"؛ وأن "التوفيق الكوني بين المتناقضات" يتأثر بمعرفة مبدأ الازدواجية هذا. ويزعم المعلمون أن تفسيرات هذا المبدأ يمكن أن تكون في متناول الجميع ومن استقراء الطبيعة الحقيقية لكل شيء. فهم يبدؤون بتوضيح أن الروح والمادة قطبين لنفس الشيء، وأن المستويات الوسطة ما هي إلا درجات من الاهتزاز. ويبينون أن المطلق والكثير نفس الشيء، وأن التفاوت ما هو إلا درجات من التجلي العقلي. ومن ثم، فإن القانون والقوانين هما طرفي النقيض في شيء واحد. وكذلك المبدأ والمبادئ. والعقل المطلق والعقول المحدودة.

بالنسبة للمستوى الطبيعي، يفسرون المبدأ بتوضيح أن الحر والبرد متماثلين في الطبيعة، وأن الاختلاف فقط في الدرجات. يعرض الترمومتر العديد من درجات الحرارة، يسمى القطب الأدنى "بالبرد"، ويسمى القطب الأعلى بالبرد. وبين هذين القطبين العديد من درجات الحرارة أو البرودة، سمه كيفما شئت فكليهما صحيح. والأعلى من الدرجتين دائما يكون أكثر دفئا، بينما الأدنى دائما أكثر بردا. ولا يوجد مقياسا مطلقا، كل ما في الأمر هو الدرجة. فلا يوجد مكان في الترمومتر لتنقطع الحرارة وتبدأ البرودة. كل ما في الأمر هو اهتزازات أعلى أو أدنى. والمصطلحين "أعلى" و "أدنى" الذين أجبرنا على استخدامهما ما هما إلا قطبين لنفس الشيء، فالمصطلحين متصلين. كذلك الأمر مع الشرق والغرب، تتجول حول العالم في الاتجاه الشرقي، وتصل إلى

نقطة تسمى بالغرب عند نقطة البداية، وتعود من هذه النقطة الغربية. سافر إلى أقصى الشمال وستجد نفسك تسافر جنوبا أو العكس.

النور والظلام قطبين لشيء واحد، مع العديد من درجات التفاوت بينهما. والميزان الموسيقي نفس الشيء، تبدأ من "س" وتنتقل إلى الأعلى حتى تصل "س"، وهكذا، فالتفاوت بين نهاية كلا الرقعتين هو نفس الشيء، مع العديد من الدرجات بين الطرفين. وكذلك الأمر بالنسبة لميزان الألوان، فالاهتزاز الأعلى والأدنى هو التفاوت الوحيد بين البنفسج الأعلى والأحمر الأدنى. والكبير والصغير بينهما تناسب. وكذلك الضوضاء والهدوء، والخشونة والنعومة تتبع نفس القاعدة. وكذلك الحاد والمحدب. والإيجاب والسلب يمثلان قطبي شيء واحد بدرجات لا تحصى بينهما.

والخير والشر ليسا مطلقين، فنسمي أحد نهايتي الميزان بالخير والأخرى بالشر، أو أحدهما خير والآخر شر، حسب استخدام المصطلح. فالشيء "أقل خيرا" من الشيء الأعلى في الميزان، ولكن هذا الشيء "الأقل خيرا" بدوره "أكثر خيرا" من الشي الأسفل منه، وهكذا، "والأقل أو أكثر" يضبط حسب الحالة في الميزان.

كذلك الأمر على المستوى العقلي. "الحب والكراهية" عموما ينظر إليهما أنهما شيئان يتعارضان مع بعضهما البعض، وأنهما مختلفان تماما، ولا يمكن التوفيق بينهما. ولكننا نطبق مبدأ الازدواجية، فنجد أنه لا يوجد هذا الشيء سواء الحب المطلق أو الكراهية المطلقة، كما يختلفان عن بعضهما البعض. فيستخدم المصطلحان للدلالة على قطبي شيء واحد. فإذا بدأنا من أي نقطة من الميزان نجد "الحب أكثر" أو "الكراهية أقل"، لأننا نرتقي في الميزان؛ و"الكراهية أكثر" أو " حب أقل" لأننا نتدنى فهذا أمر صحيح بغض النظر عن النقطة التي نبدأ منها. وهناك درجات من الحب والكراهية، وهماك نقطة وسط يصبح "الحب والكراهية" فيها غير واضحين لدرجة أنه من الصعوبة بمكان أن تفرق بينهما. والجبن والشجاعة يخضعان لهذه القاعدة. فطرفي النقيض في كل مكان. فأينما تجد شيئا تجد نقيضه، تجد قطبيه.

هذه هي الحقيقة التي تساعد علماء السر في تحويل حالة عقلية لأخرى، على طول خطوط الازدواجية. فلا يمكن تحويل الأشياء التي تنتمي إلى طبقات متفاوتة في بعضها البعض، ولكن يمكن تحويل شيئين من طبقة واحدة، ويمكن تغيير قطبهم. وكم ثم لا يمكن أن يصبح الحب شرقا أو غربا، أو أحمرَ أو بنفسجَ، ولكن يمكن أن يتحول إلى كراهية، أو أن تتحول الكراهية إلى حب، بتغيير أقطابها. ويمكن تحويل الشجاعة إلى جبن، والعكس. ويمكن تحويل الأشياء الخشنة إلى أشياء ناعمة. ويصبح المحدب حادا. والأشياء الساخنة تصبح باردة. وهكذا فإن التحويل يكون في أشياء من نفس النوع بدرجات متفاوتة. ولنأخذ حالة الرجل الجبان كمثال. فبرفع اهتزازه العقلي مع خط الجبن والشجاعة، يمكنه أن يكون مشحونا بأعلى درجات الشجاعة والجسارة. وكذلك الرجل الكسول يمكنه أن يحول نفسه إلى رجل نشيط، وشخص فعال ببساطة عن طريق استقطاب مع صفة الإرادة.

ربما لا يستطيع الطالب المطلع على الطرق التي من خلالها تحدث مذاهب العلوم العقلية المختلفة تغييرات في الحالات العقلية عند أولئك الذين يتبعون تعاليمهم، أن يفهم بسهولة المبدأ الذي يشكل العديد من هذه التغييرات. وعند إدراك مبدأ الازدواجية، ويبدو أن التغييرات العقلية تحدث بسبب تغير الازدواجية. يمكن فهم صانع القبعات بسهولة. إن التغيير ليس في طبيعة تحويل شيء إلى شيء آخر مختلف كليا، ولكنه محض تغيير درجة في نفس الشيء، وهذا اختلاف مهم. فعلى سبيل المثال، استعارة تشابه من المستوى الطبيعي، يمكن تحويل الحرارة إلى حدة أو جهارة أو ارتفاع، إلخ، ولكن يمكن تحوي الحرارة بسهولة إلى برودة، فقط بتقليل الاهتزاز. وبنفس الطريقة فإن الكراهية والبغض يمكن أن يتحولا بشكل تبادلي؛ وكذلك الجبن والشجاعة. ولكن لا يمكن تحول الجبن إلى حب، ولا يمكن تحويل الشجاعة إلى كراهية. فالحالات العقلية تنتمي إلى عدد لا يحصى من الطبقات، كل طبقة لديها أقطابه المتناقضة، ويمكن معها التحويل.

سيدرك الطالب بسهولة أنه في الحالات العقلية يمكن تصنيف القطبين إلى موجب وسالب بالتعاقب، كما يحدث في ظواهر المستوى العقلي. لذا فإن الحب إيجابي بالنسب للكراهية، والشجاعة بالنسبة للجبن، والنشاط بالنسبة للكسل، إلخ. وسيلاحظ أيضا أنه حتى بالنسبة لأولئك الذين ليسوا مطلعين على مبدأ الاهتزاز، أن القطب الموجب يبدو في مرتبة أعلى من القطب السالب ويهيمن عليه بسهولة. واتجاه الطبيعة يكون نحو النشاط المهيمن للقطب الموجب.

بالإضافة إلى تغيير أقطاب الحالة العقلية الخاصة عند شخص ما عن طريق تفعيل فن الاستقطاب، فإن ظاهرة التأثير العقلي تظهر لنا أن المبدأ يمكن أن يمتد لكي يشمل ظاهرة تأثير عقل شخص على الآخر، والتي كُتب عنها الكثير في السنوات الأخيرة. وعندما يدرك أن الاستقراء العقلي ممكن، يعني ذلك أن الحالات العقلية يمكن استنتاجها عن طريق الاستقراء من الآخرين، عندما نرى بسهولة كيف أن حدا معينا من الاهتزاز، أو استقطاب حالة عقلية بعينها، يمكن أن يتصل بشخص آخر، وأن ازدواجيته في هذه الطبقة من الحالات العقلية قد تغيرت. ومع هذا المبدأ تم الحصول على نتائج لعدة "معالجات عقلية". فعلى سبيل المثال، شخص "كئيب" مشحون بالكآبة والخوف. فيحضر العالم العقلاني عقله الخاص إلى درجة الاهتزاز المطلوبة بإرادته المدربة ومن ثم ينتج حالة عقلية مشابهة في عقل الآخر عن طريق الاستقراء، ثم تكون النتيجة أن يرتفع الاهتزاز وينجذب الشخص نحو النهاية الموجبة في الميزان بدلا من النهاية السالبة، ثم يتحول جبنه ومشاعره السلبية الأخرى إلى شجاعة وحالات عقلية موجبة مشابهة. وستظهر دراسة قليلة لك أن هذه التغييرات العقلية تتصل بشكل وثيق بخط الاستقطاب، والتغيير يمكن أن يكون في درجة بدلا من النوع.

سيساعد هذا المبدأ السري العظيم الطالب في فهم أفضل لحالاته العقلية، والحالات العقلية عند الآخرين. وسيرى أن هذه الحالات ما هي إلا درجات، وبرؤية ذلك سيستطيع تزويد أو تقليل الاهتزاز، ليغر أقطابه العقلية، وبذلك يكون هو سيد حالاته العقلية، بدلا من أن يكون هو الخادم والعبد. وبهذه المعرفة سيكون قادرا

على مساعدة رفقائه بذكاء وبالطرق المناسبة يغير الازدواجية عندما يرغب. وننصح جميع الطلاب بالاطلاع على هذا المبدأ، لأن الفهم الصحيح لما سبق سيلقي الضوء على العديد من المواضيع الصعبة.

الفصل الحادي عشر

التناغم

"

كل شيء يتدفق، للداخل والخارج، كل شيء له مد وجزر، كل شيء يرتفع ويسقط، يظهر تأرجح عقرب الساعة في كل مكان، مقدار التأرجح إلى اليمين هو مقدار التأريج إلى اليسار، الإيقاع متكافئ" الكيباليون.

يجسد هذا المبدأ الخامس العظيم من المبادئ السرية، مبدأ التناغم، حقيقة أنه في كل شيء تظهر حركة قياسية؛ من وإلى الحركة، مد وجزر، تأرجح للأمام والخلف، مثل حركة بندول الساعة، المد والجزر، أعلى وأسفل، بين القطبين الظاهرين على المستوى الطبيعي أو العقلي أو الروحي. إن مبدأ التناغم وثيق الصلة بمبدأ الازدواجية الذي شرحناه في الفصل السابق. يظهر التناغم بين القطبين الذين وضعهما مبدأ الازدواجية. ولا يعني ذلك أن بندول التناغم يتأرجح إلى نهاية الأقطاب، لأن ذلك نادرا ما يحدث؛ في الواقع، إنه من الصعوبة بمكان أن تنشأ الأضداد القطبية في معظم الحالات. ولكن التأرجح دائما يكون تجاه القطب الأول ثم إلى القطب الثاني.

هناك دائما فعل ورد فعل؛ تقدم وتراجع؛ طفو وغوص؛ يظهر في جميع الظواهر الكونية. فالشموس والعوالم والبشر والحيوانات والمعادن والقوى والطاقات والعقل والمادة وحتى الروح، يظهر كل ذلك هذا المبدأ. يظهر هذا المبدأ في إيجاد وإنهاء العوالم، في نهوض وتألق الأمم، في قصة حياة جميع الأشياء، وأخيرا يظهر في الحالات العقلية عند الإنسان.

عندما نبدأ بتجليل الروح، سيلاحظ دائما أن هناك تدفق؛ " زفير وشهيق البراهم" كما ينطقها البراهانيون. فالأكوان مخلوقة، وتصل إلى أدنى درجة من المادية، ثم تبدأ بعد ذلك في التأرجح للأعلى. تظهر الشموس للوجود، ثم تصل إلى ذروة طاقتها، تبدأ عملة الانحطاط، وبعد فترات تصبح كتل من الخلايا الميتة، منتظرة دفعة جديدة تنشط طاقاتها الداخلية تبدأ دورة جديدة من الحياة الشمسية. وبالتالي مع كل العوالم فهي تولد وتنمو ثم تموت؛ فقط لتولد مرة أخرى. وكذلك الأمر مع كل الأشياء من الشكل والمظهر، فهي تتأرجح من الفعل إلى رد الفعل، ومن الميلاد إلى الوفاة، ومن النشاط إلى الخمول، ثم تعود مرة أخرى. كذلك مع جميع

الكائنات الحية، فهي تولد وتنمو وتموت ثم تولد من جديد. وكذلك مع كل الحركات العظمى والفلسفات والعقائد والطرق والحكومات والشعوب وكل شيء غيرها، الميلاد والنمو والنضج ثم التدهور والموت، ثم يأتي بعد ذلك الميلاد الجديد. وتأرجح البندول دائما هو الدليل.

الليل والنهار متعاقبان. ويتأرجح البندول من الصيف إلى الشتاء، ثم يعود مرة أخرى من الشتاء إلى الصيف. وتدور الجزيئات والذرات والجسيمات وكل كتل المادة حول مدارها الطبيعي. فلا يوجد ثمة شيء مثل الراحة المطلقة أو الانقطاع عن الحركة وكل الحركات تشارك في التناغم. فالقاعدة هي التطبيق الكوني. ويمكن تطبيقها على أي قضية أو ظاهرة من أي من مستويات العديدة. ويمكن تطبيقها على جميع أشكال النشاط البشري. فهناك دائما ما يسمى بالتأرجح التناغمي من أحد القطبين إلى الآخر. والبندول الكوني في حركة دائمة. وائما الحياة في مد وجزر طبقا للقانون.

لقد أدرك العلم الحديث مبدأ التناغم إدراكا جيدا، وقد اعتبر قانونا كونيا كما طبق على الأشياء المادية. ولكن علماء السر قد حملوا المبدأ لما هو أبعد من ذلك، وقد علموا أن تجلياته وتأثيراته تمتد إلى الأنشطة العقلية عند الإنسان، وأنه مؤثر بسبب التتابع المذهل للأمزجة والمشاعر وغيرها من التغيرات المحيرة والمربكة التي نلاحظها على أن أنفسنا. ولكن علماء السر قد تعلموا عن طريق دراسة تفعيل هذا المبدأ أن يمرروا بعضا من أنشطته عن طريق التحويل.

قد اكتشف حكماء السر من أمد بعيد أنه بينما كان مبدأ التناغم أمر ثابت، وأنه دائما دليل في الظواهر العقلية، كان لا يزال هناك مستويان من تجليه لدرجة أنه حوى الظواهر العقلية. وقد اكتشفوا أن هناك مستويان من الوعي، أعلى وأدنى، وقد مكنهم فهم هذه الحقيقة من الارتقاء إلى المستوى الأعلى ومن ثم إدراك تأرجح البندول التناغمي الذي تجلى في المستوى الأدنى. بعبارة أخرى، وقع تأرجح البندول على مستوى اللاوعي، ولم يتأثر الوعي بشكل من الأشكال. وهذا هو ما يسمونه بالمحايدة. وتتكون عملياته من ارتفاع الأنانية على اهتزازات مستوى اللاوعي من النشاط العقلي، لذلك فإن التأرجح السالب للبندول غير ظاهر في مستوى الوعي، ومن ثم لم يتأثر. إنه يشبه تماما أن ترفع شيئا ثم تتركه يمر من تحتك. إن الحكيم السري أو الطالب النجيب يجذب نفسه نحو القطب الذي يرغب فيه، بطريقة تشبه رفض الاشتراك في التأرجح المتأخر أو إنكار تأثيره على نفسه، فيقف ثابتا على موقفه المستقطب، ويسمح للبندول العقلي بالتأرجح للوراء مع مستوى اللاوعي. إن جميع الأشخاص الذين حصلوا على درجة من التحكم الذاتي، أتموا ذلك، بعدم السماح لأمزجتهم وحالاتهم العقلية بالتأثير عليهم، لقد طبقوا قانون المحايدة. إن الحكيم يحمل هذا المبدأ لدرجة أعلى من البراعة، وباستخدام إرادته يُحصِل درجة من التوازن والثبات العقلي التي غالبا ما تكون مستحيلة في الاعتقاد بالنسبة لمن يسمحون لأنفسهم بالتأرجح للوراء والأمام عن طريق البندول العقلي للأمزجة والمشاعر.

إن الجانب المهم من ذلك سيقدره أي مفكر يدرك ما يمتلكه معظم الناس من الأمزجة والمشاعر والعواطف، وكيف أنهم يظهرون من أنفسهم القليل من الغموض. فإذا توقفت وتفكرت لحظة، ستلاحظ كيف أثرت تأرجحات التناغم بكثرة في حياتك، وكيف أن فترة الحماسة قد تبعها شعور مضاد وحالة من الفتور. كذلك قد تلت الحلة التي تمتلكها من الشجاعة حالة من الجبن المساوية لها. كذلك يحدث نفس الشيء مع غالبية الأشخاص، تمتد وتنحسر عندهم موجات الشعور، لأنهم لم يشكوا من قبل في سبب أو علة الظواهر العقلية. ففهم الأعمال حول هذا المبدأ سيعطي المرء مفتاح الغموض لهذه الإيقاعات التناغمية من الشعور، وسيساعده على معرفة ذاته بشكل أفضل وعلى تجنب ابعاده عن طريق هذا التدفق والانسياب. إن الإرادة أسمى بالنسبة للظهور الواعي لهذا المبدأ، على الرغم من استحالة تدمير المبدأ. يمكننا إدراك تأثيراته، بالرغم من تأثير المبدأ. والبندول دائما يتأرجح.

هناك خصائص أخرى لتأثير مبدأ التناغم سنتحدث عنها في هذه النقطة. وعندما يتعلق الأمر بتأثيراته والمعروفة بقانون التكافؤ. فأحد تعريفات أو معاني كلمة "كافأ" هو " أن تقابل بثقل مماثل" وهو السياق الذي يستخدم فيه علماء السر المصطلح. إنه قانون التكافؤ الذي تحدث عنه الكيباليون قائلا: " مقدار التأرجح إلى اليمين هو مقدار التأريج إلى اليسار، الإيقاع متكافئ".

إن قانون التكافؤ هو أن التأرجح في اتجاه ما يحدد اتأرجح في الاتجاه المقابل. وفي المستوى الطبيعي نرى العديد من الأمثلة لهذا القانون. يتأرجح بندول الساعة بمسافة معينة جهة اليمين، ثم يتأرجح بنفس المسافة جهة اليسار. فالمدد توازن كلا منهما بنفس الطريقة. والمدود تتبع نفس القانون. ويظهر نفس القانون جميع ظواهر التناغم. فالبندول بتأرجح قصير في اتجاه ما لديه نفس التأرجح القصير في الاتجاه المقابل؛ إذ أن التأرجح الطويل في الاتجاه الأيمن يعني حتما التأرجح الطويل في الاتجاه الأيسر. إن هدف يدفع نحو ارتفاع معين لديه نفس المسافة ليجتازها في طريق عودته. إن القوة التي تدفع الصاروخ مقدار ميل للأعلى تستعاد مرة أخرى عندما بعود الصاروخ مرة أخرى إلى الأرض في رحلة العودة. وهذا القانون ثابت على المستوى الطبيعي، كمرجع للمقادير التي ستعرضها لك المستندات.

لكن علماء السر يحملونه إلى ما هو أبعد من ذلك. فيقولن أن حالات الإنسان العقلية تخضع لنفس القانون. إن المرء الذي بنعم بحماسة، معرض لمتاعب شديدة، بينما من يشعر بقليل من الآلام يستطيع الشعور فقط بقليل من النعيم. فالخنزير يعاني ولكن بأقل عقلية، ويستمتع ولكن قليلا، فهو متكافئ. وعلى الجانب الآخر، هناك حيوانات أخرى تنعم بحماسة، ولكن جهازها العصبي ومزاجها يسبب لها المعاناة بدرجات حادة من الألم وكذلك الأمر مع الإنسان. هناك عدد من الأمزجة تسمح ولكن بدرجات قليلة من الاستمتاع، وبنفس الدرجة القليلة من الألم، بينما هناك درجات أخرى تتيح أكبر ما يمكن من الاستمتاع، ولكن أيضا بنفس الدرجة تكون المعاناة. فالقاعدة إذا أن سعة الألم والسعادة متكافئة في كل شخص. وقانون التكافؤ يعمل بكامل طاقته هنا.

لا يزال علماء السر يبحرون أبعد من ذلك في هذا الأمر. فيقولون أنه قبل أن يكو المرء قادرا على أن ينعم بدرجة معينة من السعادة، يجب عليه أن يتأرجح جهة القطب الآخر من الشعور. ويقولون أيضا أن السالب يسبق الموجب في هذا الأمر، وهو القول بأن باختبار درجة معينة من السعادة لا تعني أنه سيجب عليه أن يتعب للحصول عليها، مع الدرجة المتطابقة من الألم، وعلى النقيض، فإن السعادة هي التأرجح الإيقاعي، طبقا لقانون التكافؤ، لأن درجة الألم تم اختبارها من قبل إما في الحياة القائمة أو في تجسد آخر. وهذا يلقي ضوءا جديدا على مشكلة الألم.

يصف علماء السر سلسلة الحياة بالاستمرار، وأنها تشكل جزءا من حياة الشخص، لذا نتيجة لذلك يفهم التأرجح الإيقاعي بهذه الطريقة، إلا أنها ستكون بلا معنى إذا لم يسلم بحقيقة التجسد من جديد.

ولكن علماء السر يزعمون أن الحكماء أو الطلاب النجباء يستطيعون، بدرجة كبيرة، أن يدركوا التأرجح نحو الألم عن طريق عملية المحايدة السالف ذكرها. وبالارتقاء على هذا المستوى العالي من الأنانية، يتجنب كثير من التجارب التي تتعلق بهؤلاء الذين أسهبوا في المستوى الأدنى.

يلعب قانون التكافؤ دورا مهما في حياة الرجل والمرأة. ويلاحظ دائما أن المرء عموما "يدفع ثمن" أي شيء يمتلكه أو يفقده. فإذا امتلك شيئا فقد الآخر. ولا يستطيع أحد "أن يحتفظ بالدرهم وفي نفس الوقت يشتري قطعة من الكعك"، فكل شيء له جانب حلو وآخر مر. إن الأشياء التي يمتلكها الإنسان دائما ما تكون ثمنا لما يفقده. فالغني يمتلك كثرا مما يفتقده الفقير، ولكن الفقير غالبا ما يمتلك الفقير كثيرا من الأشياء التي لا تصل إلى الغني. ربما يمتلك الغني الرغبة في الوليمة والثروة ليضمن أن كل الأطايب والكماليات موجودة فوق طاولة الطعام، ولكنه يفتقد الشهية ليتمتع بذلك، فهو يحسد العامل الذي يملك الشهية وحسن الهضم ويفتقد الثروة التي يمتلكها المليونير، والذي يشعر بسعادة أكثر بطعامه البسيط أكثر من المليونير الذي يستطيع الحصول عليه حتى وإن كان متخما أو كان يعاني عسر الهضم، لأني الرغبات والعادات والميول تختلف. وهكذا الأمر على طول الحياة. قانون التكافؤ دائما يعمل، مكافحا من أجل التوازن وإعادة التوازن، ودائما ما يفلح في الوقت المناسب، على الرغم من احتمالية تطلب أرواح من أجل التأرجح العائد لبندول الإيقاع.

السبب

"كل سبب له نتيجته وكل نتيجة لها سببها، كل شيء يحدث وفقاً لقانون. الصدفة هي مجرد إسم يطلق على قانون غير معروف. هناك عدة مستويات من العلاقات السببية، لكن لا شيء ينجو من هذا القانون" الكيباليون.

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن هناك سبب لكل نتيجة، ونتيجة من كل سبب. يوضح هذا المبدأ أن كل شيء يحدث وفقاً لقانون، أن لا شيء يحدث أبداً ببساطة، أنه لا يوجد شيء يسمى صدفة، وأن الصدفة مصطلح يوضح سبب الوجود لكنه غير معروف أو مفهوم؛ وأن هذه الظاهرة مستمرة بلا انقطاع أو استثناء.

يكرس مبدأ السبب والنتيجة لجميع النظريات العلمية قديما وحديثا، وقد عبرت عنه التعاليم السرية في العصور المتقدمة. وفي الوقت الذي قامت فيه العديد من الصراعات بين المذاهب الفكرية المتعددة، قامت هذه الصراعات أساسا تفاصيل تفعيلات المبدأ، وظلت معظم الوقت على معنى بعض الكلمات. لقد أقر كل المفكرين في العالم بهذا المبدأ المؤسس. وللتفكير بطريقة مختلفة ينبغي أن تستقي الظواهر الكونية من هيمنة القانون والأوامر، وأن تحيلها، لتتحكم في الشيء الخيالي الذي يسميه البشر "الصدفة".

سيبين التأمل قليلا لأي شخص أنه لا يوجد شيء في الواقع يسمى بالصدفة البحتة. ولكن التأمل قليلا سيبين لك أنه لا يوجد مثل عامل الصدفة هذا، ففي سياق الشيء خارج القانون، يكون شيء خارج السبب والنتيجة. كيف يمكن أن يكون هناك شيء يعمل في الكون الظاهري، مستقلا عن القوانين والأوامر ودوام الأخير؟ فمثل هذا الشيء يجب أن يكون مستقلا عن الاتجاه المنظم للكون، ومن ثم يكون أسبق منه. ونحن نستطيع أن نقول أنه لا يوجد شيء خارج المطلق يكون خارج القانون، وذلك لأن المطلق هو القانون في ذاته. ولا يوجد متسع في الكون لشيء خارج ومستقل عن القانون. إن وجود شيء كهذا يجعل كل القوانين الطبيعية غير فعالة، ويقحم الكون في موجة من الفوضى وغياب القانون.

إن البحث الدقيق سيبين أن ما نسميه بالصدفة أنه تعبير يتعلق بالأسباب الغامضة؛ الأسباب التي لا نستطيع إدراكها ولا نستطيع فهمها. فكلمة صدفة مشتقة من المعنى "سقط" (كسقوط النرد)، الفكرة أن سقوط النرد (وغيره من الحوادث الأخرى) ما هو إلا صدفة لا تتعلق بأي سبب. وهذا هو السياق الذي يستخدم فيه المصطلح عموما، ولكن عندما تبحث الأمر عن قرب، ترى أنه لا يوجد صدفة بحال من الأحوال حول سقوط النرد. ويسقط النرد كل مرة وظهر رقما معينا، فهو يتبع القانون بدون خطأ كالذي يحكم دوران الكواكب حول الشمس.

و وراء سقوط النرد تكمن الأسباب أو سلسلة الأسباب، برجوع سريع حيث يصعب على العقل تعقبه. فحالة النرد في الصندوق وكمية القوة العضلية التي بذلت في إلقائه وظروف المنضدة، إلخ إلخ، كلها أسباب ويمكن أن ترى نتائجها. ولكن وراء هذه الأسباب المرئية تكم بعض الأسباب الخفية، كلها لها تأثير على رقم النرد الذي سقط أولا.

إذا ألقي النرد مرات عديدة، ستجد أن الأرقام الظاهرة تبدو متساوية مع النقطة واحد والنقطة اثني، إلخ. ألق الدرهم في الهواء وسيسقط إما كتابة أو صورة، ولكن ألقه عدة مرات كافية، وستكون الصورة والكتابة متوازية. وهذا هو تفعيل قانون التوسط. ولكن كلا القانونين يدخل تحت قانون السبب والنتيجة، وإذا استطعنا أن نبحث داخل الأسباب السابقة، فسنرى بوضوح أن الأمر كان مستحيلا بالنسبة للنرد أن يسقط بغير الطريقة التي سقط بها، تحت نفس الملابسات وفي نفس الوقت. وبنفس المعطيات ستقع نفس النتائج. ودائما هناك سبب وعلة لكل حدث. لا شيء أبدا يحدث دون سبب، بل سلسلة من الأسباب.

لقد ظهر شيء من اللبس في عقول بعض الأشخاص المتأملين في هذا المبدأ، بسبب أنهم لم يستطيعوا أن يفسروا كيف أن شيء واحد يستطيع أن يؤثر في شيء آخر، إذا فهو هو من أوجد الشي الثاني. وحقيقة الأمر أنه لا يمكن لشيء أن يخلق شيئا آخر. فمبدأ السبب والنتيجة يتعامل مع الحوادث. والحدث هو ما يأتي أو يقع كنتيجة لحدث سابق. ولا يخلق حدث حدثا، وما هو إلا حلقة في سلسلة الأحداث المنظمة الواقعة من الطاقة الخلاقة للمطلق. فهناك تواصل بين كل الأحداث المتقدمة والناتجة واللاحقة. كما هناك علاقة بين كل شيء مضى وكل شيء قادم.

لقد ظهر شيء من اللبس في عقول بعض الأشخاص المتأملين في هذا المبدأ، بسبب أنهم لم يستطيعوا أن يفسروا كيف أن شيئا يستطيع أن يؤثر في شيء آخر، إذا فهو من أوجد الشي الثاني. وحقيقة الأمر أنه لا يمكن لشيء أن يخلق شيئا آخر. فمبدأ السبب والنتيجة يتعامل مع الحوادث. والحدث هو ما يأتي أو يقع كنتيجة لحدث سابق. ولا يخلق حدث حدثا، وما هو إلا حلقة في سلسلة الأحداث المنظمة الواقعة من الطاقة الخلاقة للمطلق. فهناك تواصل بين كل الأحداث المتقدمة والناتجة واللاحقة. كما هناك علاقة بين كل شيء مضى وكل شيء قادم. يطرح الحجر من أعلى الجبل ويصطدم بسقف أحد الأكواخ في الواجي بالأسفل. في البداية، نحن نعتبر ذلك من قبيل الصدفة، ولكن عندما نبحث الأمر نجد أن سلسلة عظيمة من الأسباب خلفه. ففي بداية الأمر نجد أنه كان هناك كمية من المطر عملت على تليين التربة لدعم الحجر والتي يسرت له بعملية السقوط؛ وقبل ذلك كان تأثير الشمس والأمطار، إلخ؛ حيث فتت الأحجار الصغيرة من الحجر الكبير؛ ثم كان هناك السبب الذي أدى إلى تثبيت الجبل، وارتفاعه عن طريق تأرجح الطبيعة، وهكذا إلى مالا نهاية. ثم يمكننا متابعة أسباب سقوط المطر، إلخ. كذلك يمكننا تأمل وجود السقف باختصار، وربما قريبا نجد أنفسنا في عين السبب والنتيجة، والتي سنكافح أن ننجو بأنفسنا منها.

كما أن الواحد منا له أبوان وأربعة أجداد وثمانية أجداد لأجداده وستة عشر جدا لأجداد أجداد أجداده، وهكذا حتى أربعين جيلا يمثلون الملايين من أسلافه، كذلك الأمر مع عدد الأسباب التي تكمن وراء أتفه الحوادث أو الظواهر، مثل القطعة الصغيرة من الفحم التي تراها أمام عينك. إنه ليس بالأمر السهل أن تتعقب النقطة الصغيرة من الفحم للعصور الأولى من تاريخ العالم عندما شكلت جزءا من جذع الشجرة، الذي تحول بعد ذلك إلى فحم وهكذا، حتى أن قطعة الفحم الصغير تمر أمام عينك الآن لتخوض مغامرة أخرى. وقد أتت بها سلسلة الأحداث العظيمة، السبب والنتيجة، إلى حالتها الحالية، وهذا الحدث الأخير ما هو إلا حلقة من سلسلة الأحداث التي يتحدث حوادث أخرى على مدار مئات السنين من الآن. واحدة من سلسلة الأحداث التي خرجت من هذه القطعة الصغيرة من الفحم هي كتابة هذه السطور، التي ساعت الكاتب المطبعي في أداء عمل معين، والتي ستثير أفكارا معينة في ذهنك، وذاك من الأخرين والذي سيؤثر على الآخرين، وهكذا، وراء قدرة المرء على التفكير أبعد من ذلك، وكل ذلك من هذه القطعة الصغيرة من الفحم، وكلها يبين الترابط والنسبية بين الأشياء، والحقيقة الأبعد هي " لا شيء حقير، لا شيء عظيم، يسبب ذلك كل شيء في العقل".

قف لتفكر لحظة. هب أن رجلا لم يزاوج فتاة، بالعودة إلى عصر الحجر، فأنت يا من تقرأ هذه الأسطر لن تكون موجودا الأن. وإذا افترضنا أن كلا الطرفين لم ينجحا في التزاوج، نحن من نكتب هذه الأسطر لن نكون موجودين هنا أيضا. وهذا العمل من الكتابة والقراءة ستؤثر ليس فقط على حياتنا أو في حياتك، ولكنها ستؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على أناس آخري على قيد الحياة وكذلك من سيأتون في العصور المقبلة. أي فكر نعتقده، وأي عمل نؤديه له نتائجه المباشرة وغير المباشرة تدخل في السلسلة العظيمة من السبب والنتيجة.

لا نود أن نخوض في مناقشة حرية الإرادة أو الجبرية في هذا العمل، لأسباب عديدة. من بينها أن المبدأ واحد الذي ليس طرفا في الخلاف صحيح بشكل كامل، وكلا الطرفين صحيحين في الحقيقة طبقا للتعاليم السرية. ويبين مبدأ الازدواجية أن كلا الطرفين يمثلان أنصاف الحقائق. وتقول التعاليم أن الإنسان يمكن أن يكون حرا أو مقيدا عند الضرورة، بالاعتماد على معنى المصطلحات ومستوى الحقيقة الذي يبحث منه الأمر. وقد عبر الكتاب القدماء عن الأمر فقالوا: " الخلق الإضافي من القلب، الأكثر مقيد، الأقرب يصل إلى القلب، الأقرب هو الحر".

معظم الناس خدم للوراثة والبيئة المحيطة، إلخ، ويظهرون شيئا يسيرا جدا من الحرية. فهم متأرجحون بفعل أراء وعادات وأفكار العلم الخارجي، وكذلك بعل عواطفهم ومشاعرهم وأمزجتهم، إلخ. فهم لا يظهرون سيادة بمعنى الكلمة. فهم ينكرون هذا الجزم بسخط قائلين "أنا حر بالتأكيد لأفعل ما أرتضيه، أنا لا أفعل إلا ما أريد"، ولمنه يعجزون عن تفسير من أين أتت " ما أريد" و "ما أرتضيه". فما الأمر الذي يجعلهم يفعلون شيئا ما دون تفضيلهم لفعل آخر، وما الدافع الذي يجعلهم يرتضون فعل هذا الأمر دون الآخر؟ فهل لا يوجد أي سبب لارتضاهم وإرادتهم؟ إن الحكيم يستطيع أن يحول الرغبات والإرادات إلى غيرها في النهاية المقابلة من القطب

العقلي. فهو قادر على "إرادة ما يريد"، بدلا من أن يريد بسبب شعور أو مزاج أو عاطفة ما، أو أن أثرا طبيعيا أثار ميلا أو رغبة فيه ليفعل ذلك الشيء.

إن السواد الأعظم من الناس حلهم كحال الحجر الذي سقط، يخضعون للبيئة والتأثيرات الخارجية والأمزجة الداخلية والرغبات، إلخ، دون حاجة لرغبات وإرادات الأخرى الأكثر قوة من أنفسهم وبيئتهم وموروثهم وافتراضاتهم، حاملة إياه ودون مقاومة لأنفسهم أو مزاولة الإرادة. متنقلة مثل الحجر على رقعة الشطرنج للحياة، فهم يلعبون دورهم ثم يتنحون عند انتهاء اللعبة. ولكن الحكماء الملمين بقواعد اللعبة، يرتقون فوق مستوى الحياة المادية، ويضعون أنفسهم في اتصال مع القوى العليا لطبائعهم، ويتحكمون في أمزجتهم الخاصة وخصائصهم وصفاتهم والازدواجية، وكذلك البيئة المحيطة بهم من ثم يصبحون هم محركي اللعبة، بدلا من أسباب الحجر وبدلا من النتائج. إن الحكماء لا يدركون علة المستويات العليا، ولكنهم يتفقون مع القوانين العليا، ومن ثم الملابسات المتحكمة في المستوى الأدنى. وهم بذلك يشكلون جزءا واعيا من القانون، بدلا من أن يكونوا آلات عمياء. وبينما هم يخدمون على المستوى الأعلى، فهم يسيطرون على المستوى المادي.

لكن القانون يعمل دائما. فليس هناك ما يسمى بالصدفة. فهذا المعبود الأعمى قد ألغاه العقل. فنحن نستطيع الأن أن نرى أن كل شيء محكوم بالقانون الكوني، وأن هذا العدد الذي لا يحصى من القوانين ما هو إلا تجل للقانون الأوحد العظيم، وهذا القانون هو المطلق. بالفعل، من الصحيح أنه لا توجد قطرة تخفى عن عقل المطلق، حتى أن الشعر الذي فوق رؤوسنا عدده معلوم، كما قالت الكتب المقدسة أنه لا شيء خارج القانون؛ لا شيء يعارضه. ولا تجعل خطأ افتراض أن الإنسان ما هو إلا أنسان آلي أعمى، فالأمر بعيد عن ذلك. فالتعاليم السرية تقول أن الإنسان يستخدم القانون ليتحكم في القوانين، وأن الأعلى دائما سيكون أقوى من الأدنى، حتى يصل في النهاية إلى المرحلة التي يستجير فيها القانون ذاته، ثم يزدري القوانين الظاهري. فهل تستطيع أن تدرك المعنى الخفي لذلك؟

الفصل الثالث عشر

النوع

" يوجد نوع في كل شيء، كل شيء له أصول مذكرة ومؤنثة، يظهر النوع على كل المستويات"

الكيباليون.

يجسد المبدأ السابع من المبادئ السرية العظيمة، مبدأ النوع، حقيقة أنه يظهر في كل شيء، وأن المبادئ المذكر والمؤنثة موجودة وفعالة في جميع جوانب الظواهر، وفي جميع مستويات الحياة. وفي هذه النقطة نظن انه من الجيد أن نلفت انتباهك لحقيقة أن النوع، في سياقه السري، والجنس في الجانب المقبول من استخدام المصطلح ليسا سواء.

إن كلمة النوع مشتقة من الجذر اللاتيني بمعن" ولد، أنسل، أنتج، أبدع، أنجب." وستبين لك لحظة من التفكر أن الكلمة لها معنى أوسع وأعم من مصطلح "الجنس"، فالأخير يشير إلى الاختلاف الطبيعي بين الكائنات الحية المذكرة والمؤنثة. فالجنس ما هو إلا تجل للنوع في مستوى معين من المستوى الطبيعي العظيم، مستوى الحياة العضوية. ونحن نريد أن نطبع هذا الاختلاف في أذهانكم، بسبب أن بعض الكُتاب الذين لديهم معرفة سطحية بالفلسفة السرية، قد بحثوا ليحددوا هذا المبدأ السري السابع بالنظريات والتعاليم المتطرفة والخيالية والتي غالبا ما تستحق التوبيخ حول الجنس.

إن وظيفة النوع هي الإيجاد والإنجاب والنسل فقط، ويمكن رؤية تجلياته في جميع مستويات الظواهر. إنه من الصعب بعض الشيء أن تخرج أدلة على هذه الخطوط العلمية الطويلة، وذلك لأن العلم لم يصل إلى الآن إلى إدراك هذا المبدأ كتطبيق كوني. ولكن لا تزال هناك بعض الأدلة الواردة من المصادر العلمية. وفي المقام الأول، نجد تجليا متمايزا لمبدأ الجنس بين الجزيئات أو الأيونات أو الإلكترونات التي تكون أساس المادة لأن العلم الآن يعلم الأخير، والذي عن طريق بعض الوحدات من الذرات، التي مؤخرا كانت تعد أنها نهائية ولا تتجزأ.

إن آخر كلمة ذكرها العلم أن الذرة تتكون من عدد النوايات أو الإلكترونات أو الأيونات، تدور حول نفسها وتهتز بدرجة عالية وبشدة. ولكن العبارة الملازمة كانت أن تكوين الذرة يكون بسبب انعقاد الجزيئات السالبة حول الجزيئات الموجبة، ويبدو أن الجزيئات الموجبة تفرض تأثيرا ما على الجزيئات السالبة، أدى إلى أن توجد

الأخيرة تركيبات معينة ومن ثم توجد أو تولد ذرة. ويتوافق ذلك مع معظم تعاليم السر القديمة، التي دائما ما حددت المبدأ المذكر من الجنس بالموجب، والمؤنث بالسالب لأقطاب الكهرباء كما يطلق عليها.

الآن هذه الكلمة في هذه النقطة حول هذا التطابق. لقد شكل العقل العادي انطباعا غير صحيح بالمرة عن خصائص ما يسمى بالقطب الموجب للمادة المكهربة أو الممغنطة. لقد أساء العلم تطبيق مصطلحي الموجب والسالب على هذه الظاهرة. فكلمة موجب تعني شيئا واقعي وقوي، مقارنة بالسالب الذي يشير إلى عدم الواقعية والضعف. فلا شيء أبعد من الحقائق الواقعية للظواهر الكهربائية. إن ما يسمى بالقطب السالب للبطارية هو القطب الذي فيه وبواسطته يظهر توليد أشكال وطاقات جديدة. فلا يوجد شيء سالب عنها. إن أفضل الهيئات العلمية الآن تستخدم كلمة "الكاثود" بدلا من "سالب"، فكلمة كاثود مشتقة من الجذر اللاتيني الذي يعني "هبوط"؛ طريق التوليد، إلخ. ومن القطب تنبثق مجموعة من الإلكترونات أو الجزيئات؛ ومن نفس القطب تنبثق هذه الإشعاعات الرائعة التي أحدثت ثورة في النظريات العلمية أثناء العقد الماضي. إن القطب السالب هو أصل كل الظواهر الغريبة التي جعلت الكتب القديمة بلا فائدة، والتي جعلت العديد يقبل نظريات مدحضة بالنسبة لدعائم التفكر العلمي. إن الكاثود أو القطب السالب هو المبدأ الأساسي للظواهر الكهربائية، ومن أفضل أشكال المادة التي يعرفها العلم الآن. لذا أنت ترى تعليلنا لرفض استخدام مصطلح "سالب" في دراستنا للأمر، وإصرارنا على استبدال كلمة "مؤنث" بالمصطلح القديم. إن حقائق المسألة تأخذنا لذلك دون اعتبار التعاليم السرية. ولذا سنستخدم كلمة "مؤنث" مكان كلمة "سالب" عند حديثنا عن قطب النشاط.

إن آخر التعاليم العلمية تقول أن الجزيئات أو الإلكترونات الخلاقة مؤنثة (يقول العلم أنها مكونة من شحنات سالبة، نقول أنها مكونة من طاقة مؤنثة). ثم تنفصل الإلكترونات المؤنثة عن الإلكترونات الموجبة، وتبدأ في وظيفة جديدة. إنها تتطلع للاتحاد مع إلكترون مذكر، منجذبة إليه عن طريق الحافز الطبيعي لإيجاد أشكال جديدة من المادة أو الطاقة. هذا الانفصال والاتحاد يشكلان أساس الجزء الأعظم من الأنشطة من العالم الكيميائي. فعندما يتحد الجزيء المؤنث مع الجزيء المذكر، تبدأ عملية معينة. تهتز الذرات المؤنثة بسرعة تحت تأثير الطاقة المذكرة، وتدور بسرعة حول الأخيرة. والنتيجة هي ميلاد ذرة جديدة. وتتكون هذه الذرة الجديدة من اتحاد بين الإلكترونات أو الجزيئات المذكرة أو المؤنثة، ولكن عندما يشكل الاتحاد تصبح الذرات شيئا منفصلا، له خصائص معينة، ولكن ليس بعد ظهور خاصية الكهرباء الحرة. وتسمى عملية الانعزال أو الانفصال للإلكترونات المؤنثة "بالتأيين". وهذه الإلكترونات هي أكثر العوامل فعالية في مجال الطبيعة. ويظهر نتيجة لاتحاداتها ظواهر مختلفة من الضوء والحرارة والكهرباء والمغنطة والجاذبية والتنافر والألفة الكيميائية، وظواهر أخرى مشابهة. وكل هذا ينتج عن مبدأ النوع على مستوى الطاقة.

ويبدو الجزء من المبدأ المذكر أنه الموجه لطاقة معينة تجاه المبدأ المؤنث، ومن ثم تبدأ العمليات الخلاقة في النشاط. ولكن المبدأ المؤنث هو الوحيد دائما من يقوم بالعمل الخلاق الفعال، وكذلك على جميع المستويات. والآن كل مبدأ غير قادر على الطاقة الخلاقة بدون مساعدة الأخر. وفي بعض أطوار الحياة يجتمع كلا

المبدأين في عضوية واحدة. ولهذا السبب، يظهر كل شيء في العالم العضوي كلا النوعين، ودائما ما يظهر المذكر في شكل المؤنث. وتتضمن التعاليم السرية الكثير حول عملية مبدأي الجنس في إنتاج وإظهار أشكال مختلفة من الطاقة، إلخ، ولكن نظن أنه ليس من المناسب أن نخوض في تفاصيل نفس الامر في هذه النقطة، لأننا لا نرجع إليه بالأدلة العلمية، لأن العلم يصل إلى ذلك بعد. ولكن الأمثلة التي عرضناها لك حول ظاهرة الإلكترون ستبين لك أن العلم ليس على الطريق المستقيم، وتعطيك أيضا فكرة عامة عن المبادئ المؤسسة.

قد صرح بعض الباحثين العلمين باعتقادهم في معلومات البلورة كان هناك شيء يطابق "النشاط الجنسي" الذي يعتبر قشة أخرى تظهر الاتجاه الذي تهب عليه الرياح العلمية. وستحمل كل سنة حقائق أخرى تبرهن على صحة مبدأ النوع السري. وسيظهر أن النوع هو الظهور الدائم في مجال المادة العضوية، وفي مجال الطاقة أو القوة. وتعد الكهرباء عموما أنها الشيء الذي تتبدد فيه جميع مظاهر الطاقة. إن "النظرية الكهربائية للكون" هي آخر المذاهب العلمية، وتنتشر بسرعة بين القبول العام. وهي بذلك تتبع أننا إذا استطعنا أن نستكشف ظاهرة الكهرباء، حتى على مستوى جذر وأصل ظهورها دليل وضحا على وجود النوع وأنشطته، سنكون محقين في أن نطلب منك أن تعتقد أن العلم قد قدم في النهاية أدلة الوجود في جميع الظواهر الكونية للمبدأ السري العظيم، مبدأ النوع.

ليس من الضروري أن تشغل وقتك بهذه الظواهر المشهورة "تجاذب وتنافر" الذرات؛ الألفة الكيميائية؛ "الحب والكراهية" للجزيئات الذرية؛ التجاذب أو التلاحم بين جزيئات المادة. فهذه الحقائق مشهورة جدا ولا تحتاج منا تعليقا إضافيا. ولكن هل فكرت قبل ذلك أن كل هذه الأشياء تجليات لمبدأ النوع؟ ألا ترى أن الظاهرة "على أربعة أطراف مع ذلك الإلكترون؟ وأكثر من ذلك، ألا ترى منطقية التعاليم السرية التي تؤكد أن قانون الجاذبية الأرضية، هذه الجاذبية الغريبة من العقل التي منها تتجه كل جزيئات وأجسام المادة في الكون نحو بعضها البعض، ما هي إلا تجل آخر لمبدأ الجنس، الذي يعمل في اتجاه جذب المذكر نحو الطاقة المؤنثة، والعكس؟ وليس باستطاعتنا أن نقدم لك الأدلة العلمية في هذا الوقت، ولكن ابحث الظاهرة في ضوء التعاليم السرية حول الأمر، وانظر إذا لم تصل إلى افتراضات عملية أفضل من التي قدمها العلم الطبيعي.

ضع كل الظواهر الطبيعية تحت الاختبار، وستجد أن مبدأ النوع دائما هو الدليل.

لننتقل الآن تأمل في عمل المبدأ على المستوى العقلي. فهناك الكثير من الخصائص المهمة في انتظار البحث عنها.

النوع العقلي

إن طلاب علم النفس الذين اتبعوا الاتجاه الحديث للفكر على طول خطوط الظواهر العقلية متأثرون بدوام فكرة العقل المزدوج التي ظهرت بقوة أثناء السنوات العشر أو الخمسة عشر الأخيرة، والتي أعطت فرصة لقيام بعض النظريات المقبولة حول طبيعة وتكوين هذين العقلين. لقد حصل تومسون هودسون الأخير على شعبية جارفة عام ١٨٩٣ عن طريق تطوير نظريته الشهيرة "العقل الموضوعي وغير الموضوعي" التي تواجدت في عقل كل إنسان. ولقد تتبع عدد من الكتاب نفس الاهتمام عن طريق النظريات حول "العقول الواعية وغير الواعية"؛ "العقل الإرادي واللاإرادي"؛ "العقل النشط والعقل الكسول"، إلخ . وتختلف نظريات الكتاب عن بعضها البعض ولكن يبقى المبدأ المؤسس "ازدواجية العقل".

إن طالب الفلسفة السرية يجبر على الضحك عندما يقرأ أو يسمع عن هذه النظريات الحيثية العديدة حول ازدواجية العقل، حيث يتقيد كل مذهب بنظرياته الخاصة بتعصب، والكل يزعم أنه "اكتشف الحقيقة". ويعود الطالب ليتصفح صفحات التاريخ السري، وبالعودة للبدايات المظلمة يجد أن هناك مصادر للمذهب السري القدم حول مبدأ النوع على المستوى العقلي، تجلي النوع العقلي. والبحث أكثر يجد أن الفلسفة القديمة قد أدركت ظاهرة "العقل المزدوج"، وفسرتها عن طريق نظرية النوع العقلي. ويمكن تفسير فكرة النوع العقلي في كلمات قليلة للطلاب المطلعين على النظريات الحديثة فقط للإشارة إليها. يطابق المبدأ المذكر للعقل لما يسمى العقل الموضوعي؛ العقل الواعي؛ العقل الإرادي؛ العقل النشط، إلخ. ويطابق المبدأ المؤنث للعقل ما يسمى العقل غير الموضوعي ؛ العقل غير الواعي؛ العقل اللاإرادي؛ العقل الخامل، إلخ. بالطبع لا تتفق التعاليم السرية مع العديد من النظريات الحديثة حول طبيعة شكلي العقل، ولا تخضع لكثير من الحقائق المزعومة للمظهَرين، وبعض النظريات والمزاعم بعيدة الاحتمال وعاجزة عن تثبيت اختبار التجربة والبرهان. وننوه على مظاهر التوافق بهدف مساعدة الطالب يستوعب معرفته السابقة مع تعاليم الفلسفة السرية. وسيلاحظ طلاب هودسون العبارة في بداية الفصل الثاني " قانون الظواهر الطبيعية"، أن " إن الرطانة الخفية للعلماء السريين تفصح عن نفس الفكرة العامة"، أقصد ازدواجية العقل. وإذا كان دكتور هودسون قد استغرق وقتا ليفك رموز قليلا من الرطانة الخفية للفلسفة السرية، وربما تلقى كثيرا من الضوء على موضوع "العقل المزدوج"، ولكن ربما لم تكتب أعماله بعد ذلك. والآن دعونا نتأمل التعاليم السرية حول النوع العقلي.

ينقل المعلمين السريين تعاليمهم حول هذا الموضوع بأمرهم الطلاب أن يبحثوا تقرير شعورهم بأنفسهم. ويطلب من الطلاب أن يحولوا انتباههم الداخلي إلى السكون الذاتي من خلال كل منهم. يصل كل طالب إلى أن يرى

أن شعوره يعطيه أولا تقرير وجود نفسه، والتقرير هو "أنا أكون". ويبدو ذلك في البداية أنه الكلمات النهائية من الشعور، ولكن قليلا من البحث أكثر يفصح عن حقيقة أن "أنا أكون" يمكن أن تنفصل أو تنشطر إلى جزئيين مختلفين، أو جانبين مختلفين، التي يمكن أن تنفصل إلى وعي عندما تعمل متحدة ومترابطة.

بينما يظهر في البداية وجود أنا الفاعل فقط، يظهر البحث أكبر وأقرب حقيقة وجود أنا الفاعل وأنا المفعول. ويختلف هذا التوأم العقلي في الخصائص وفي الطبيعة، وسيلقي بحث طبيعتيهما والظاهرة الناجمة منهما مزيدا من الضوء على العديد من مسائل التأثير العقلي.

لنبدأ بتأمل أنا المفعول الذي عادة ما يفهمه الطالب خطأ بأنه أنا الفاعل، حتى يستعجل التحقق بالعودة أكثر في أعماق الشعور. يفكر الإنسان في نفسه على أنها تتكون من بعض المشاعر والعادات والعلاقات الخاصة والخصائص إلخ، وكلها يصنع شخصيته، أو "النفس" التي عرفها كما يعرفها الأخرون. ونحن نعلم أن هذه العواطف والمشاعر تتغير وتولد وتموت، وأنها خاضعة لمبدأ التناغم، ومبدأ الازدواجية الذي يأخذه من نهاية أحد المشاعر إلى الأخر. وهو أيضا يظن أن "أنا" المفعول بكونه معرفة بعينها قد اجتمعت سويا في ذهنه، ومن ثم تشكل جزءا من ذاته. هذا هو "أنا" المفعول عند شخص ما.

لكننا استكملنا على عجل. يمكن القول أن "أنا" المفعول عند كثير من البشر يتكون بشكل كبير من شعورهم البدني وغرائزهم الطبيعية، إلخ. ويتصل شعورهم بطبيعتهم الجسدية بشكل كبير، وهم في الواقع " يعيون هناك". بعض الأشخاص أبعد ما يكونون ليعدوا كسائهم الشخصي جزءا من "أنا" المفعول وفي الواقع يبدو أنهم يعتبرونه جزءا من أنفسهم. كتب أحدهم بطريقة ظريفة يقول: "الإنسان يتكون من ثلاثة أجزاء، الروح والجسد والملابس." ولكن حتى العديد من الذين لم يتصلوا عن قرب بفكرة الملابس الشخصية تلتصق بشعورهم بأبدانهم، وهم لا يتحملون اعتقاد الاستقلال النفس عن البدن. ويبدو عقلهم بالنسبة لهم عمليا " شيء ينتمي" لأجسادهم، ويحتاجون إليه في كثير من الأوقات.

لكن بما أن الإنسان يرتقي في ميزان الشعور، فإنه يستطيع أن يفصل أنا المفعول عن فكرته عن البدن، ويستطيع كذلك أن يظن أن جسده ينتمي إلى الجزء العقلي منه. لكن إذا كان قابلا لتحديد أنا بالحالات العقلية والمشاعر، إلخ، التي يشعر بوجودها من خلال ذاته. فهو قابل لاختبار هذه الحالات الداخلية أنها متطابقة مع نفسه، بدلا من كونها أشياء أحدثها جزء ما من عقليته، وتظهر من خلاله ومنه وفيه، ولكن ليست ذاته. فهو يرى أنه يمكن أن يغير هذه الحالات الداخلية من المشاعر عن طريق الإرادة، وأنه يمكن أن يحدث شعورا أو حالة من طبيعة مقابلة مضبوطة، بنفس الطريقة ومن ثم يظهر نفس الأمر، أنا المفعول. كذلك بعد فترة سيكون قادرا على أن يطرح هذه الحالات العقلية المختلفة والعواطف والمشاعر والعادات والمواصفات والخصائص وغيرها من المتعلقات الشخصية العقلية، إنه قادر على أن يطرحهم جانبا في مجموع " لست أنا" من الفضول والتعويق وكذلك الممتلكات الثمينة. ويتطلب ذلك مزيدا من التركيز العقلي وقوة من التحليل العقلي من جانب

الطالب. ولكن لا تزال المهمة متاحة للطالب النجيب، وكذلك من لم يتقدم فهو قادر على أن يرى كيف يمكن أن تؤدى العملية.

تم تأدية العملية بعد هذا الطرح، وسيجد الطالب نفسه في امتلاك حقيقي للنفس التي يمكن أن تعتبر في شكليها "أنا" الفاعل و"أنا" المفعول. ستشعر بأنا الثانية على أنها شيء عقلي تنتج فيه المعتقدات والأفكار والعواطف والمشاعر والحالات العقلية الأخرى. ويمكن اعتبارها "الرحم العقلي" كما وصفها القدماء، أنها قادرة على إيجاد النسل العقلي. إنها تصور الشعور ك " أنا" المفعول بقوى مستترة من الخلق والإيجاد من النسل العقلي من جميع الأنواع والأصناف. إن قواها من الطاقة الخلاقة تُشعر بأنها هائلة.

ولكن سيجد الطالب قريبا أن هذا ليس كل ما يجده من خلال الشعور الداخلي، فهو يجد شيئا عقليا قادر أيضا على الوقوف جانبا وقادر على مشاهدة الخلق العقلي. هذا الجزء من ذاته يظن أنه ذاته. ويجد أنه لا يوجد شعور بالقدرة ليولد ويخلق بنشاط، في سياق العملية التدريجية الملازمة للعمليات العقلية. يجد أيضا أن "أنا" الفاعل قادر على أن يقف جانبا ويشاهد عمليات "أنا" المفعول من الإيجاد والتوليد العقلي.

إن هذه المظاهر للعقل، المبدأين المذكر والمؤنث، يعتبرون أمرا متصلا بالظواهر العقلية والطبيعية، وتعطي المفتاح الرئيسي لهذه المناطق الخفية من العمل العقلي والتجلي. إن مبدأ النوع يعطي الحقيقة المؤسسة لمجال ظواهر التأثير العقلي، إلخ.

إن ميل المبدأ المؤنث دائما ما يكون في اتجاه استقبال الانطباعات، بينما ميل المبدأ المذكر دائما ما يكون في اتجاه التعبير. ويمتلك المبدأ المؤنث مجالا أكثر اختلافا من التفعيل مما يمتلكه المبدأ المذكر. يتعهد المبدأ المؤنث بتوليد التفكير والنظريات والأفكار الجديدة بما في ذلك التخيل. ويتكون المبدأ المذكر من ذاته مع عمل الإرادة في أشكالها المختلفة. وبدون المساعدة الفعالة لإرادة المبدأ المذكر، فإن المبدأ المؤنث سيميل إلى التواصل مع توليد التصورات العقلية الناتجة عن الانطباعات المتلقاة من الخارج، بدلا من إيجاد التصورات العقلية الأصلية.

إن من يستطيع أن يعطي انتباه وفكرا متواصلا تجاه موضوع يستخدم كلا المبدأين العقليين، المبدأ المؤنث في عمل التوليد العقلي، والإرادة المذكرة في إثارة وتحفيز العملية الخلاقة في العقل. وأغلبية الأشخاص يستخدمون المبدأ المذكر ولكن قليلا، مكتفين بالعيش طبقا للمعتقدات والأفكار المطبوعة في "أنا المفعول من "أنا" الفاعل من العقول الأخرى. ولكنها ليس هدفنا أن نركز على هذا الموضوع، الذي يمكن دراسته أي كتاب جيد في علم النفس، مع المفتاح الذي قد أعطيناكموه حول النوع العقلي.

إن طلاب الظواهر الطبيعية على وعي بالظواهر الخارقة المصنفة تحت التخاطر؛ الانتقال الفكري؛ التأثير العقلي؛ الترجيح؛ الافتراض؛ إلخ. لقد بحث الكثيرون عن تفسير لهذه الأشكال المختلفة من الظواهر تحت النظريات المختلفة لـ "العقل المزدوج"، وهم على صواب، لأن هناك تجل واضح للمظهرين المختلفين من النشاط العقلي. ولكن إذا كان هؤلاء الطلاب سيبحثون هذه" العقول المزدوجة" في ضوء التعاليم السرية حول الاهتزاز والنوع العقلي، فإنهم سيواجهون بحثا طويلا عن مفتاح في المتناول.

يمكننا أن نرى في ظاهرة التخاطر كيف أن الطاقة الخلاقة للمبدأ المذكر موجهة نحو المبدأ المؤنث عند شخص آخر، ويأخذ الأخير النسل ويسمح له بالنمو. وبنفس الطريق تعامل الافتراض والاقتراح. يدفع المبدأ المذكر لدى الشخص الذي يعطي الاقتراحات طوفانا من الطاقة الاهتزازية أو القوة الإرادية تجاه المبدأ المؤنث لدى شخص آخر، ويسمح له الأخير أن يجعل أفعله وأفكاره مطابقة لأفعال وأفكار الأول. ثم تنمو الفكرة المودعة وتتطور نتيجة لذلك في عقل شخص آخر، وفي الوقت المناسب الذي يعد النسل العقلي للفرد، بينما هي في الواقع مثل الوقواق يضع بيضه في عش العصفور، حيث يدمر النسل الشرعي ويجعل نفسه صاحب البيت. إن الطريقة الطبيعية للمبدأين المذكر والمؤنث في عقل شخص ما لكي ينسق ويعمل بتوافق بترابط مع بعضهما البعض، لكن، ولسوء الحظ، المبدأ المذكر في كسول جدا لدى الشخص العادي، وعرض القوة والإرادة هزيل جدا، والنتيجة هي أن هؤلاء الأشخاص محكومون غالبا بعقول وإرادات أشخاص آخرين سمحو لهم أن يفكروا ويريدوا لهم. كيف يمكن وصف قلة الأفكار أو الأعمال الأصلية التي قام بها الشخص العادي؟ أليس غالبية الأشخاص هم أصداء وظلال للآخرين الذين يمتلكون إرادات عقول أقوى من أنفسهم؟ إن المشكلة تكمن في أن الشخص العادي يعيش غالبا في شعوره "بأنا" المفعول ولا يدرك أنه يملك هذا الشيء "كأنا" الفاعل. لقد استقطب في المبدأ المؤنث من عقله، وقد سمح للمبدأ المذكر الذي فيه تودع الإرادة معطلا وغير مستخدم.

يظهر الرجال والنساء الأقوياء في العالم المبدأ المذكر للإرادة بثبات، وتعتمد قوتهم على هذه الحقيقة. فبدلا من العيش الانطباعات التي يصنعها لهم الآخرون، يسيطرون بإرادتهم على عقولهم، حاصلين على نوع من التصورات العقلية المرجوة، بل ويسيطرون على عقول الآخرين كذلك، بنفس الطريقة. انظر إلى الأشخاص الأقوياء، كيف استطاعوا أن يذرعوا أفكارهم في عقول الجماهير من الناس، وهذا يجعل الجماهير يفكر طبقا لأهواء ورغبات الأقوياء.

لهذا السبب غالبية الناس مثل الأغنام، لا ينشؤون فكرة أبدا من عقولهم، ولا يستخدمون قواهم الخاصة من النشاط العقلي.

إن الطالب المطلع على الظواهر الطبيعية سيكتشف الجزء المهم التي تلعبه تلك الظواهر عن طريق هذه القوة التي سماها العلم "إيحاء"، ويعني ذلك المصطلح الطريقة التي يمكن من خلالها نقل الأفكار أو الانطباعات إلى عقل شخص آخر، ليعمل العقل الثاني مطابقا له بعد ذلك. إن الفهم الصحيح للإيحاء أمر لابد منه لكي

تدرك الظواهر الطبيعية المختلفة التي يكرس لها الإيحاء. ولكن لاتزال أهمية معرفة الاهتزاز والنوع العقلي قائمة بالنسيبة لطالب الإيحاء. لأن مبدأ الإيحاء برمته يعتمد على مبدأ النوع العقلي والاهتزاز.

من المألوف لدى الكتاب والمعلمين للإيحاء أن يفسروا أنه العقل الموضوعي أو الإرادي الذي يصنع الانطباع العقلي أو الإيحاء عند العقل غير الموضوعي أو اللاإرادي. ولكنهم لم يصفو لنا الطريقة أو يعطونا أي مثال في الطبيعة يمكننا من خلاله فهم الفكرة بسهولة. ولكن إذا نظرت في الأمر في ضوء التعاليم السرية ستكون قادرا على رؤية أن تنشيط المبدأ المؤنث عن طريق الطاقة الاهتزازية للمبدأ المذكر مطابقة للقوانين الكونية للطبيعة، وأن العالم العدي يعطي ما لا يحصى من الأمثلة يمكن من خلالها فهم المبدأ. في الواقع، إن التعاليم السرية تظهر أن كل خلق في الكون يتبع نفس القانون، وكذلك الأمر في جميع التجليات الخلاقة، على المستويات الروحية والعقلية والطبيعية، يعمل مبدأ النوع بطريقة مستمرة، وهذا الظهور للمبدأين المذكر والمؤنث. "كما في الأعلى كذلك في الأسفل؛ كما في الأسفل كذلك في الأعلى." وأكثر من هذا، عندما يدرك ويفهم مبدأ النوع العقلي، تصبح الظواهر النفسية المختلفة قابلة للتصنيف والدراسة، بدلا من أن تكون في الظلام. إن هذا الكون يعمل عمليا، لأنه مبني على القوانين الكونية الثابتة للحياة.

ان نخوض في مناقشة أو وصف للظواهر العقلية المختلفة من التأثير أو النشاط الطبيعي. فهناك العديد من الكتب المفيدة التي كتبت ونشرت حول هذا الموضوع في السنوات الأخيرة. والحقائق الأساسية التي ذكرت في هذ الكتب المختلف صحيحة، على الرغم من أن عدة كتاب قد حاولوا أن يفسروا الظواهر عن طريق نظرياتهم الخاصة. يمكن للطالب أن يطلع على هذه الأمور، وباستخدام نظرية النوع العقلي يستطيع أن يستخلص الأمر من تضارب النظريات والتعاليم المتناقضة، وربما بسهولة يجعل نفسه مسيطرا على الأمر إذا كان يود ذلك. إن الهدف من هذا العمل ليس أن نعطي كمية كبيرة من الظواهر الطبيعية ولكن لكي نعطي الطالب مفتاحا رئيسيا يتمكن من خلاله من فتح العديد من الأبواب المؤدية إلى أجزاء معبد المعرفة الذي ربما يود استكشافه. نشعر أنه في هذا البحث عن تعاليم الكيباليون ربما يجد المرء تفسيرا يعمل على توضيح العديد من الصعوبات المحيرة، والمفتاح الذي سيفتح العديد من الأبواب. إذا ما الفائدة من الخوض في تفاصيل حول خصائص الظواهر الطبيعية والعلم العقلي، شريطة أن نضع في أيدي الطالب الوسائل التي من خلالها يتمكن من يطلع بنفسه على أي جانب يرغب فيه. وبمساعدة الكيباليون يمكن للمرء أن يذهب من خلال أي مكتبة سرية من جديد، يضيء النور القديم من مصر العديد من الصفحات المظلمة والمواضيع القاتمة. وهذا هو الهدف من هذا الكتاب. نحن لم نأتي لنقدم فلسفة جديدة، ولكن لنبين خطوط التعاليم القديمة العظيمة التي ستجعل تعاليم الأخرين أكثر وضوحا، والتي ستعمل كموفق للاختلاف والنظريات والمذاهب المقابلة

الفصل الخامس عشر

المسلمات السرية

" إن امتلاك المعرفة، يشبه ادخار المعادن النفيسة، والشيء التافه والحقير. المعرفة مثل الثروة، الهدف منها استثمارها. قانون الاستثمار هو الكون ومن يعارضه يعاني، لأنه عارض القوى الطبيعية." الكيباليون.

إن التعاليم السرية، بينما كانت دائما محفوظة بسرية في أذهان المحظوظين ممن وعوها من مصادرها، للأسباب التي ذكرناها بالفعل، لم يكن المراد منها أن تخفى أو تكتم. إن قانون الاستخدام قائم على التعاليم، ويمكنك ملاحظة ذلك بالرجوع إلى الاقتباسات السابقة من الكيباليون، الذي نص عليها عنوة. إن المعرفة دون الاستخدام أو التطبيق شيء لا قيمة له، ولا تأتي بخير على من يحملها، أو على المجموع. فكن على حذر من البخل العقلي، وعليك بتطبيق ما تعلمته. تعلم الأمثال والحكم ولكن عليك بتطبيقها أيضا.

سنعرض في الأسفل بعضا من المسلمات السرية الأكثر أهمية، مع قليل من التعليقات المضافة إليها. اجعلها خاصة بك، وطبقها واستخدمها، لأنها لن تكون خاصة بك إلا إذا استخدمتها.

"لكي تغير مزاجك أو حالتك العقلية، عليك بتغيير اهتزازك." الكيباليون.

يمكن للمرء أن يغير اهتزازه العقلي عن طريق جهود الإرادة، باتجاه الترسيخ المتأني للانتباه على حالة مرغوب فيها بشكل أكبر. فالإرادة توجه الانتباه، والانتباه يغير الاهتزاز. حفز فن الانتباه بواسطة الإرادة وستحل لغز سيطرة الأمزجة والحالات العقلية.

"لكي تزيل نسبة فير مرغوب فيها من الاهتزاز العقلي، فعل مبدأ الازدواجية وركز على القطب المقابل إلى ذلك الذي تريد أن تزيله. اقض على غير المرغوب فيه عن طريق تغير قطبه." الكيباليون.

إن هذه واحدة من أهم الصياغات السرية. إنها مبنية على الأسس العلمية. ولقد وضحنا من قبل أ ن الحالة العقلية والحالة المقابلة لها هما قطبين لشيء واحد، وأن الازدواجية يمكن ان تعكس عن طريق التحويل العقلي. ويعد هذا المبدأ معلوما لدى علماء النفس المعاصرين، الذين يطبقونها لتحطيم العادات غير المرغوب فيها عن طريق أمر طلابهم أن يركزوا على الخاصية المقابلة. فإذا كان لديك شيء من الجبن، فلا تضيع وقتا في محاولة قتل هذا الجبن، ولكن حفز خاصية الشجاعة بدلا من ذلك، وحتما سيختفي الجبن. وقد عبر بعض الكتاب عن هذه الفكرة باستخدام تفسير الغرفة المظلمة، ولكن فقط بفتح النافذة ومرور الضوء تبدد الظلام. لكي تقتل صفة سلبية، ركز على القطب الإيجابي من نفس الصفة، وسيتغير الاهتزاز تدريجيا من السالب إلى

الموجب، إلى أن تستقطب في النهاية من السلب إلى الموجب. والعكس صحيح أيضا، إذ ان العديد قد اكتشفوا حزنهم، عندما سمحو لأنفسهم أن تهتز كثيرا على القطب السالب من الأشياء. فبتغيير ازدواجيتك يمكنك أن تتحكم في أمزجتك، وأن تغير حالاتك العقلية، وأن تبني شخصية. إن كثيرا من السيادة العقلية للسرية المتقدمة كانت بسبب تطبيق الازدواجية، والذي يعد واحدا من أهم مظاهر التحويل العقلي. وتذكر المسلمة السرية(المذكورة قبل ذلك) التي تقول:

"يمكن أن يتحول العقل من حالة إلى حالة، ومن درجة إلى درجة، ومن ظرف إلى ظرف، ومن قطب غلى قطب، ومن اهتزاز إلى اهتزاز (مثل المعادن والعناصر)." الكيباليون.

إن سيادة الاستقطاب هي سيادة المبادئ الأساسية للتحويل العقلي أو الكيمياء العقلية، لأنه إذا يحصل المرء على فن تغيير ازدواجيته الشخصية، فلن يستطيع أن يؤثر في بيئته. إن فهم هذا المبدأ سيساعد المرء على تغيير ازدواجيته الشخصية، وكذلك ازدواجية الآخرين، إذا كرس له الوقت والعناية والدراسة والتطبيق، جميعهم ضروري للإلمام بالفن. فالمبدأ صحيح، ولكن النتائج تعتمد على صبر الطالب ونشاطه المتواصل.

"يمكن أن يكون التناغم محايدا بتطبيق فن الاستقطاب." الكيباليون.

كما بينا في الفصول السابقة، اعتقد علماء السر أن مبدأ التناغم يظهر على المستوى العقلي كما يظهر على المستوى الطبيعي، وأن التعاقب المحير للأمزجة والمشاعر والعواطف وغيرها من الحالات العقلية الأخرى، بسبب تأرجح البندول العقلي للخلف والأمام، الذي يحملنا من نهاية شعور إلى آخر. ويقول علماء السر أيضا أن قانون التحايد يساعد المرء، بدرجة كبيرة، على التغلب على عملية التناغم في الوعي. وكما وضحنا من قبل، هناك كمستوى عال من الوعي، وكذلك هناك مستوى أدنى، وهو موجود في المستوى الأعلى، ويدرك شعور التأرجح الخلفي. ويتأثر ذلك بالاستقطاب على النفس العليا و وبالتالي يصعد الاهتزاز العقلي للذات على الاهتزازات الطبيعية على مستوى الوعي. إنه مطابق للارتقاء فوق شيء ما ثم السماح له بالمرور مت تحتك. إن عالم السر المتقدم يستقطب نفسه على القطب الموجب من قطب "أنا أكون" بدلا من قطب الشخصية وبرفض وإنكار عملية التناغم يرتقي بنفسه فوق مستواها الشعوري، ويقف بثبات على موقفه بالسماح للبندول أن يعود ثانية على المستوى الأدنى دون تغير ازدواجيته. ويتفق ذلك مع جميع الأشخاص الذين حصلوا أي درجة من السيطرة على النفس، سواء فهموا القانون أم لم يفهموه. ويرفض هؤلاء الأشخاص ببساطة أن يسمحوا لأنفسهم أن يعود ثانية بواسطة بندول المزاج والعاطفة، وبثبات يؤكدون النجاح بأنهم لا يزالون على القطب الموجب. بالطبع يمتلك الحكيم درجة عالية من البراعة، لأنه يعلم القانون الذي يسيطر عن طريق القانون الأعلى، وباستخدام إرادته يحصل على درجة من الثبات والتوازن العقلي الذين غالبا ما يكون أمرا مستحيلا عند أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بالتأرج للخلف والأمام عن طريق البندول العقلي للأمزجة والمشاعر.

تذكر دائما أنك لا تدمر مبدأ التناغم حقيقة، لأنه غير قابل للتدمير. ولكنك ببساطة تتغلب على قانون عن طريق قلب توازنه بقانون آخر، ومن ثم تحافظ على التوازن. إن قوانين التوازن والتوازن المضاد تعمل على المستوى العقلي والطبيعي، ويساعد فهم هذه القوانين المرء على إسقاط القوانين، في حين أنه يسعى لمقابلة التوازن.

"لا شيء ينجو من مبدأ السبب والنتيجة، ولكن هناك العديد من مستويات السبب، ويمكن للمرء أن يستخدم القوانين العليا ليتغلب على القوانين السفلى." الكيباليون.

يرتقي علماء السر عن طريق فهم ممارسة الاستقطاب للمستوى الأعلى من السبب ومن ثم يقابلون توازن المستوى الأدنى من السبب. وبالارتقاء فوق مستوى السبب العادي، يصبحوا هم، في درجة ما، المسببون بدلا ممن يقع عليهم السبب. وعند يستطيعون السيطرة على أمزجتهم ومشاعرهم الشخصية كما بينا، فإنهم يستطيعون إدراك جزءا كبيرا من عمليات السبب والنتيجة على المستوى الطبيعي. إن السواد الأعظم من الناس منقادون لبيئتهم، ويخضعون لرغبات وأهواء من هم أقوى منهم، وتأثيرات الميول الوراثية، وغيرها من الأسباب الخارجية، التي تهدف إلى نقلهم على رقعة الحياة مثل الدمى. ويطلب علماء السر المتقدمين مستوى أعلى من العمل العقلي عن طريق التغلب على الأسباب المؤثرة، ويخلقون لأنفسهم شخصيات وصفات وقوى جديدة يتغلبون بها على بيئتهم العادية، عن طريق سيطرتهم على أمزجتهم ومشاعرهم وعواطفهم، ومن ثم يصبحون محركين بدلا من أن يكونوا مجرد دمى. ومثل هؤلاء الأشخاص يساعدون على لعب لعبة الحياة بطريقة مفهومة، بدلا من أن يُنقلوا من هذا المكان إلى الآخر عن طريق التأثيرات والقوى والإرادات الأقوى. فهم يستخدمون مبدأ السبب والنتيجة بدلا من أن يستخدمهم هو. بالطبع، يخضع الأعلى للمبدأ لأنه يظهر على المستويات العليا، ولكن على المستوى الأدنى من الفعالية، فهم أسياد بدلا من العبيد. كما يقول الكيباليون:

"إن الأسياد يخدمون الأعلى، ولكنهم يحكمون الأدنى. إنهم يخضعون للقوانين التي تأتي من فوقهم، ولكن على مستواهم، ويحكمون من هم أدنى ويوجهون إليهم الأوامر.

وبذلك يشكلون جزءا من المبدأ، بدلا من معارضته. إن الرجل الحكيم يتوافق مع القانون، وبفهم تحركاته فإنه يقوم بتفعيله بدلا من أن يكون عبده الأعمى. فقط مثل السباح الماهر الذي يغير هذا الاتجاه وذاك الاتجاه، يذهب ويغدو كما يشاء، بدلا من أن يكون مثل لوح الخشب الذي يحمل هنا وهناك، كذلك الرجل الحكيم مقارنة بالرجل العادي، وكلاهما السابح الماهر ولوح الخشب؛ الحكيم والغبي يخضعان للقانون. إن من يفهم ذلك فهو على طريق السرية." الكيباليون.

وفي الختام نلفت انتباك مرة ثانية إلى المسلمة السرية:

"إن التحويل السري الصحيح فن عقلي." الكيباليون.

يقول علماء السر في المسلمة السابقة أن العمل العظيم للتأثير على بيئة شخص ما تتم عن طريق القوة العقلية. إن هذا الكون برمته عقلي، ويمكن ان يكون محكوما بالعقلية. ولإجاد هذه الحقيقة كان هناك تفسير لكل الظواهر والتجليات للعديد من القوى العقلية التي تجذب انتباها أكبر ودراسة أعمق في السنوات الأولى من القرن العشرين. وخلف وتحت تعاليم الطوائف والمذاهب المختلفة، يظل دائما مبدأ الجوهر العقلي للكون. فإذا كان الكون عقليا فبطبيعته الجوهرية، فإنه تحويل عقلي يجب أن يغير ظروف وظواهر الكون. وإذا كان الكون عقلي، إذا فإن العقل يجب أن يكون القوة العليا التي تؤثر في ظواهره. فإذا فهم ذلك، إذا كل ما يسمى بالمعجزات والأعمال الخارقة يمكن أن رؤيتهم بوضوح لما هم له.

"المطلق عقل؛ الكون عقلي." الكيباليون.

النهاية